الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أ درار

قسم اللغة و الأدب العربي

كلية الآداب و العلوم الإنسانية

التعالق النحوي و الدلالي في التركيب اللغوي
مقارنة بين الجرجاني في نظرية النظم
و تشومسكي في النظرية التوليدية التحويلية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس

من إعداد الطالبتين :

- خديجة موساوي .
- لالة عائشة رقاني .

بإشراف الأستاذة :

كريمة صفاوي .

الموسم الجامعي :2006/2005 م

1426 /1427 هـ

F

إهداء

إلى والدي الحبيب، أطال الله عمرها.

إلى إخوتي: نورة، وأبنائها، حليمة وأبنها وعبير والبل.

إلى الغالية مريم.

إلى التي جمعتني بها الأخوة والمحبة، شريكتي حياتي.

إلى جميع الأهل والأقارب.

أهدي هذا العمل المتواضع

خديجة

إهـــــداء :

إلى التي أرضعتني السعادة و سكبت في قلبي نور الحياة . . . أمي الحبيبة .

إلى التي علمتني الحب و غرست في معالم الوفاء . . . أمي العزيزة (مربيتي) .

إلى روح أبي الطاهرة . . . فطيب الله ثراه رحمة و دعاء .

إلى روح جدي . . . مولاي عمار الرقاني .

إليكم أرفع هذه الثمرة من غرسكم .

إلى أخواي . . . أخي الأكبر "أمبارك" ، وأخي "حسان" .

إلى التي جمعتني بها الأخوة و المحبة . . . "خديجة موساوي" . .

إلى كل من علمني فأحسن تعليمي . . . معلميّ و أساتذتي .

إلى كل طلبة قسم اللغة و الأدب العربي و بالخصوص دفعة 2005 / 2006 .

إلى كل من ينضم تحت لواء الإتحاد العام الطلابي الحر .

و إلى كل الذين لم يسعهم هذا الإهداء أهدي هذا العمل .

عائشة

شكر وعرفان:

الشكر لله أولا وآخرا على التوفيق بعد العمل .

عرفانا بالجميل ، نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم – من قريب أو بعيد – معنا في إنجاز هذا العمل .

ونخص بالذكر الأستاذة المشرفة " كريمة صنباوي " التي ساعدتنا على تخطي أوقات صعبة وحرجة أثناء الانجاز فكانت لنا خير معين فجزاها الله عنا فضل الجزاء .

كما نشكر الأخ والأستاذ العيد علاوي على مساعدته وتوجيهاته ، ونشكر كل أساتذتنا الأجلاء في قسم اللغة والأدب العربي الذين كان لكل منهم فضل علينا سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، ونخص الأستاذ بلالي ، قصاصي ، خلادي ، بن سعد ، جعفري ، والزميلين عبد القادر سليماني ، وعبد القادر بقادر .

كما لا ننسى أن نوجه بالشكر إلى عبد الجليل موساوي ، وفيصل لصبرهما معنا في كتابة هذا الانجاز .

خديجة . عائشة

المقدمة

لقد ألّف عبد القاهر الجرجاني كتاب " دلائل الإعجاز "، لغرض بيان إعجاز القرآن الكريم فكان تركيزه على النظم الذي هو باختصار توخي معاني النحو ، وبهذا المفهوم قد تناول الجرجاني قضية شائكة من قضايا اللغة أو اللسانيات المعاصرة هي: علاقة النحو بالمعنى . وهي القضية نفسها التي خصّت بالدراسة في نظرية النحو التوليدي والتحويلي لنوام تشومسكي ، فالمتتبِّع لكلتا النظريتين يجد أنّ بينهما أكثر من نقطة تقاطع . ولعلّ هذا التشابه في أفكار هذين العالمين الذين يفترقان زماناً ومكاناً هو الذي لفت انتباهنا فاتخذنا منه موضوعاً لبحثنا الموسوم ب : التعالق النحوي والدلالي في التركيب اللغوي (مقارنة بين الجرجاني في نظرية النظم وتشومسكي في النظرية التوليدية التحويلية) . ونحن نبغي التعرف أكثر على كلتا النظريتين وبسط ما استطعنا ، ثم الوقوف على مواطن التشابه والاختلاف بينهما رغم التباعد الزمني الشاسع وقد حققت النظرية التشومسكية نجاحاً كبيراً بهر عقول الباحثين وحتى العرب ، فحاولوا جاهدين تطبيقها وتحليل النصوص العربية باحتذائها

وقد اعتمدنا في عملنا منهجين : منهجاً وصفياً في الفصلين الأول والثاني ، ومنهجاً مقارناً في الفصل الثالث متخذين من التحليل أداة في كليهما . وحاولنا تقديم بحثنا في ثلاثة فصول ؛ متحدثين في الفصل الأول عن نظرية النظم في ثلاث مباحث : تناولنا في الأول جذور فكرة النظم من خلال جهود سيبويه الجاحظ ، الرماني الخطابي القاضي عبد الجبار وغيرهم . وفي الثاني تطرقنا لأهم المفاهيم التي شكلت النظرية وأقامتها وهي اللفظ والمعنى . وفي المبحث الثالث اخترنا بعض القضايا النحوية في النظرية هي : التقديم والتأخير ، الحذف والفصل والوصل ، وتناولناها بشيء من التحليل .

أما الفصل الثاني فاختصّ بالنظرية التوليدية و التحويلية وضمّ ثلاثة مباحث كذلك : في الأول عرض للأفكار التي تأثر بها تشومسكي – وكانت بمثابة الأوليات لنظريته – عند كل من بلومفيلد و أستاذه هاريس . وبسطنا في الثاني أهمّ المفاهيم في النظرية وهي : الملكة اللغوية ، الكفاءة والأداء ، التوليد ، التحويل ، النحو المقبولية والنحوية . وكان المبحث الثالث عبارة عن عرض لإجراءات وطرق التحليل التي استعملها تشومسكي لبلوغ نموذجه المعياري الذي يتكون من مكونات تركيبية ، صرفية، دلالية وصوتية .

وارتأينا أن يكون الفصل الثالث عبارة عن نقاط متفرّقة تضمّ أوجه الشبه والاختلاف بين النظريتين وكذلك أهمّ النقود التي تعرّضتا لها .

وأثناء بحثنا واجهتنا صعوبات في الفصل الثاني – خاصة– فلم نجد المصادر الأصلية (مؤلّفات تشومسكي) ،فاعتمدنا على المراجع التي توفرت لنا رغم اختلاف طرائق العرض والمصطلحات فيها في حين كانت نظرية النظم جلية على حدٍّ بعيد .

ومن أهم المصادر التي اعتمدنا عليها : دلائل الإعجاز في علم المعاني لعبد القاهر الجرجاني ، اللغة والعقل لنوام تشومسكي ، الألسنية المبادئ والأعلام لميشال زكريا ، اللسانيات النشأة والتطور لاحمد مومن ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها لمحمد العمري

ولا يسعنا في الأخير إلا أن نتقدّم بالشكر الجزيل لأستاذتنا المشرفة (كريمة صمّباوي) على مجهوداتها وتوجيهاتها ، وصبرها معنا ، إلى جميع أساتذتنا الذين قطعوا معنا مسيرة أربع سنوات من الدراسة ، إلى جميع من قدّم لنا يد العون من زملائنا وزميلاتنا . ونحن لاندّعي في هذا كمال الرؤية والإتقان في العمل ، وإنما نبتغي من ورائه الإصابة والكشف . والله الموفق للصواب .

الفصل الأول

نظرية النظم : أولياتها وأهمّ القضايا النحوية فيها .

المبحث الأول : أوليات نظرية النظم .

المبحث الثاني : نظم الجرجاني .

المبحث الثالث : أهمّ القضايا النحوية في النظرية .

عبد القاهر الجرجاني

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، نسبة إلى جرجان الـــمدينة الفارسية العريقة إنه أشعريٌّ ، شافعيٌّ بيانيٌّ متكلّمٌ فقيهٌ ، مفسّرٌ شاعرٌ . رجح أن يكون مولده سنة 400 هـ / 1010 م . أما وفاته فاتفق على أنها سنة 447 هـ 1078 م .

لـــم ينتبه المؤرخون إلى حياة عبد القاهر الأسرية وما مرّ به في طفولته وإنما اهتمّوا بحياته الثقافية والمعرفية فقد أتقن علوم الثقافة الإسلامية ، وألمّ بالدراسات المنطقية وله دراية بغير العربية من اللغات ، شهد تحولات عديدة عاشها العالم الإسلامي آنذاك ، فانضمّ إلى الفرق الكلامية دفاعاً عن الدين ؛ فكان متكلّماً على فكرة أبي الحسن الأشعري ، وأصبح من أكبر المتحدّثين في الإعجاز ، حيث أقرّ أن القرآن الكريم معجـــز بنظمـــه وليس بألفاظه منفردة أو معانيه التي تضمنها .

ترك لنا الجرجاني آثاراً ليست بالكثيرة ولكنها متنوعة ، فقد ألّف في النحو المغني والمقتصد ، وفي الشرح والتفسير كتاب الـــمفتاح وشرح الفاتحة وكتاب الـــمعتضد ، وفي البلاغة دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة وفي الشعر مصنفاً واحداً هو المختار في دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام .

الفصل الأول: نظرية النظم: أولياتها، وأهم القضايا النحوية فيها.

لما نزل القرآن الكريم ، بُهت العرب ببلاغته ورفعته ونسجه البديع الذي يسمو ويعلو على نسج نوابغهم في الشعر والنثر. فوصفه الذين كفروا به بقول الساحر تارة وبكلام المجنون أخرى.

ومهما يكن من أمر فإن القرآن الكريم،ولما توفرت فيه من خصائص تبهر العقول، كان هو الباعث الأول لنشأة علوم اللغة؛ فتأليفه البديع نتج عنه علم البلاغة، ووقوع اللحن فيه سبب ظهور علم النحو، "فقد أثّر القرآن بنظمه وتأليفه العجيب في ترشيد الذوق البلاغي (...)وبذلك كان القرآن المنبه الأول على الاهتمام بهذه الفصاحة التي جاء على منوالها" [1] .

المبحث الأول: أوليات نظرية النظم:

إذن لقد اشتغل العرب بالبلاغة منذ ظهور الإسلام، وكان الدافع في ذلك كلّه بيان إعجاز القرآن الكريم، فمنهم من رأى ذلك في لفظه، ومنهم من رآه في معانيه وآخرون قالوا بأنّ مكمن الإعجاز فيه صوره، ومن ذهب إلى أن سّر الإعجاز فيه نظمه وتأليفه الذي جاء عليه.وكان أغلب البلاغيون ينتمون إلى المذاهب الكلامية،والعالم يبثُّ موقفه انطلاقاً من مبادئ المذهب الذي ينتمي إليه وخدمة له في ذات الوقت.

ومن خلال دراسات القدماء للإعجاز، نجد منهم من توصّل إلى أن سرّ إعجاز القرآن العظيم في نظمه لكنها كانت مجرّد إشارات قصيرة سطحية، إلى أن جاء عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري، وألّف كتابيه" أسرار البلاغة "و"دلائل الإعجاز" اللذين يبثُّ فيهما رأيه في الإعجاز القرآني، فتوسّع في آراء سابقيه وأضاف إليها.

[1] ـ نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني ، وليد محمد مراد، دار الفكر ، الطبعة الأولى 1403هـ ، 1983 م ، ص 5 .

فسيبويه(ت.175هـ) لم يشرإلى مصطلح النظم، لكنّه لـمّح إليه في كثير من مواضع كتابه؛ فقد عرض أنواع التآليف وبيّن صحيحها من كذبها ومحالها في "باب الاستقامة والإحالة " فيقول: "هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة، فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب."[1] وأعطى أمثلة لكل ضرب :"فأما المستقيم فقولك: أتيتُكَ أمس، وسآتيكَ غداً. وأما المحال فأن تنقض كلامك بآخره فتقول:أتيتُكَ غداً، وسآتيك أمس، وأما المستقيم الكذب فقولك: حملتُ الجبلَ، وشربتُ مَاءَ البحرِ ونحوه.

وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك:قد زيدٌ رأيتُ، وكي زيداً يأتيكَ و أشباه هذا."[2]

وقد بيّن سيبويه – أيضاً– فروق المعاني التي تنتج عن التراكيب اللغوية المختلفة، فتحدث عن مسائل لغوية كالتقديم والتأخير،والعطف،والنكرة والمعرفة...

أما **الجاحظ(ت.255 هـ)** ففرّق بين نظم القرآن ونظم الكلام،ووضع للفظة المفردة شروطاً: كأن تكون سالمة من تنافر الحروف، مألوفة غير وحشية،سهلة إذا ما نُظمت كانت كاللفظ الواحد،وقد قال:" والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي و العربي والبدوي والقروي وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيّر اللفظ وسهولة المخرج، وكثرة الماء وفي صحّة الطبع وجودة السبك،فإنما الشعر صناعة وجنس من التصوير."[3] فتخيّر اللفظ المناسب للمعنى وجودة سبك الألفاظ بعضها مع بعض،حتى يكون بينها من التناسب والتلاقي ما يحيل إلى معنى واحد وكأن المعبّر به لفظة واحدة. ذاك هو التأليف السليم والنظم البديع .

---

[1] - الكتاب ، سيبويه أبي عمر بن عثمان ، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، الطبعة الثالثة 1403، 1983،الجزء الأول، ص 25.

[2] - المصدر نفسه ، ص 25، 26.

[3] - .الحيوان ، أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ ، منشورات دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر ، بيروت . لبنان 2003 ، المجلد الثالث ، ص 150 .

وأما **ابن قتيبة**(ت.276هـ)،فيرى أن القرآن معجز بتأليفه البديع، ونظمه العجيب الذي يسمو عن نظم العرب، وبيّن أن للعربية خصائص تسمو بها عن كلّ اللغات، فإذا ما تصرفنا في قواعدها ونظامها، كشفت لنا عن المعاني المختلفة التي تحملها، لذلك يقول: " ومن المقلوب أن يقدم ما يوضحه التأخير ويؤخر ما يوضحه التقديم." [1] فهذه إشارة منه واضحة إلى أن للتقديم والتأخير أثراً في تغير المعنى؛ فإن لم يوضع اللفظ في موضعه فسد المعنى.

وقد ألّف **الرماني**(ت. 384هـ) رسالة بعنوان " النكت في إعجاز القرآن " بيّن فيها رأيه في الإعجاز وموضوع الرسالة يشتمل على فكرتين أساسيتين: بيان وجوه الإعجاز القرآني، وبيان أبواب البلاغة، وقد أشار إلى دلالات التأليف اللامتناهية فقال:" دلالة التأليف لا نهاية لها كما أن الممكن من العدد ليس له نهاية يوقف عندها لا يمكن أن يزاد عليها." [2]

وأبان **الخطابي**(ت.388هـ) عن رأيه في الإعجاز في رسالته "بيان إعجاز القرآن" فتوصّل إلى أن سرّ الإعجاز يتمثل في أنّه جاء بأفصح الألفاظ، وتضمّن أصحّ المعاني واستخدم في نظمها أحسن نظوم التأليف فقال: " اعلم أنّ القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف متضمناً أصحّ المعاني."[3]

أما **الباقلاني** (ت.403 هـ) صاحب "إعجاز القرآن" الذي اشتمل على مواضيع عدة أهمها: بيان وجوه إعجاز القرآن، بيان وجه إعجاز النظم القرآني، مقارنة بين الأسلوب القرآني وأساليب الكلام البشري.

---

[1] - تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ، تحقيق : احمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية. بيروت ، ص 10.
[2] - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، الرماني ، الخطابي ، عبد القاهر الجرجاني ، دار المعارف . مصر ، الطبعة الثانية ، 1387هـ 1968 م . ص 107 .
[3] - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص 27.

ليتوصل إلى أن القرآن يمتاز بنظم بديع يعجز عن الإتيان بمثله الإنس والجن ويقول: " لقد كان القرآن معجزاً لأن نظمه خارج عن جميع وجوه النظم المعتادة في كلامهم ومباين لأساليب خطابهم." [1]

وإلى جانب هؤلاء-أيضا- تحدث **أبو هلال العسكري**(ت.395 هـ) عن حسن التأليف ورداءته وعن وجوه السبك والرّصف فقال: " وحسن الرصف أن تُوضع الألفاظ في مواضعها، وتُمكّن في أماكنها ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير والحذف والزيادة إلا حذفاً لا يفسد الكلام ولا يعمي المعنى، وتضمّ كلّ لفظة إلى شكلها تضاف إلى لفقها وسوء الرصف تقديم ما ينبغي تأخيره منها، وصرفها عن وجوهها وتغييرصيغتها ومخالفة الاستعمال في نظمها." [2] فحُسن التأليف وضوحٌ للمعنى، ورداءته تعمية له، ومنه يذهب إلى أن " حسن التأليف يزيد المعنى وضوحاً وشرحاً، ومع سوء التأليف ورداءة الرصف والتركيب شعبة من التعمية." [3]

ويذهب **القاضي عبد الجبار** (ت.415 هـ) في كتابه" المغني" إلى أن القرآن الكريم معجز وهو بهذا في أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة، واعتبر اللفظ والمعنى أساسين تقوم عليهما الفصاحة و البلاغة اللتان تُحقّقان باعتبار اللفظ والمعنى لأنّ الكلام يكون بهما معاً. فيقول: "إنما يكون الكلام فصيحاً لجزالة لفظه وحسن معناه، ولا بدّ من اعتبار الأمرين." [4]

و لم يعط عبد الجبار قيمة للفظ وحده، وإنما الكلام يمتاز بالضمِّ، ضمُّ الألفاظ بعضها إلى بعض على طريقة مخصوصة فقال: " واعلم أنّ الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة ولا بدّ مع الضم أن يكون لكل كلمة صفة وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد

---

[1]- إعجاز القرآن، أبي بكر محمد الباقلاني ، شرح وتعليق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل.بيروت ، الطبعة الأولى 1411 هـ 1991 م ، ص 175.

[2]- الصناعتين الكتابة والشعر، أبي هلال الحسن العسكري ، حققه وضبط نصه: مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ، 1409 هـ ، 1989 م ، ص 179.

[3]- الصناعتين الكتابة والشعر ، أبي هلال العسكري ، ص 179.

[4]- المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي أبي الحسن عبد الجبار ، تحقيق أمين الخولي ،1960 ، ص 115 . نقلا عن : نظرية النظم وقيمتها العلمية ، وليد محمد مراد ، ص 39 .

تكون بالإعراب الذي هو مدخل فيه، وقد تكون بالمواقع وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع." [1]

إذن الملاحظ من كل ما سبق، أنّ هؤلاء الدارسين وأثناء حديثهم عن التأليف تطرقوا ولو سطحياً إلى علاقة النحو بالمعنى وأهميتهما. لكن القاضي عبد الـــجبار، كان أكثرهم تناولاً ووضوحاً لها قبل عبد القاهر؛ فقد كانت أفكاره منطلق عبد القاهر، حيث إنه جعل النحو ركناً أساسياً فيها، وقد كان عبد الـــجبار قدوة الجرجـــاني في منهجه " أما قدوتـــه في الـــجدل والحجاج فليس أحداً آخر غير القاضي عبد الـــجبار المعتزلي برغم الاختلاف في المنطلقات، لقد أخذ عنه الكثير من المبادئ والأفكار الأساسية وأهـــمها بلاغياً قضية الموقع." [2]

ففكرة النظم لم تكن نابّجة من فراغ، بل تناولها العلماء قبل عبد القاهر، وهو استفاد من جهـــودهم ولـــــمّ شتاتـــها وأضاف عليها بل يعترف صراحة بسبق العلماء له فيقول: وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شـــأن النظم وتفخيم قدره ، والتنويه بذكره ، وإجماعهم على أن لا فضل مع عدمه ، ولا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ . وبتَّهُمُ الحكمَ بأنه الذي لا تمام دونه ، ولا قوام إلا به ، وأنه القطب الذي عليـــه المدار ، والعمود الذي به الاستقلال . " [3]

---

[1] - المغني في أبواب التوحيد والعدل ، ص 197 . نقلا عن : نظرية النظم وقيمتها العلمية ، ص 39 .
[2] - البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، محمد العمري ، افريقيا الشرق 1999 ، ص 325 .
[3] - دلائل الإعجاز في علم المعاني ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق ياسين الأيوبي ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع .صيدا بيروت ، 1424 هـ 2003 ص 126 .

المبحث الثاني: النظم عند الجرجاني.

ألّف الجرجاني كتابه الدلائل في ظل البحث في سرّ الإعجاز القرآني، فتوصّل إلى أنّ السرّ في ذلك يعود إلى النظم والأسلوب المتميز الذي جاء على منواله خصيصاً، وعرّف النظم فقال: " واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو. وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت ، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها؛..." [1] فانطلق يستفيض البحث في هذا الجانب ويقدّم الحجج والبراهين، وحصر جميع أسس وجوانب فكرته بدقة، فاستحقت أن يطلق عليها(نظرية) من طرف المحدثين.

ونحن إن تتبّعنا ما أورده الجرجاني في(الدلائل) نجده قد تحدّث عن النظم وعن توخي معاني النحو في مواضع كثيرة جدّاً؛ يعيد المثال ويدعمه بفكرة جديدة، ويعيد التعريف ويؤكد عليه، فنلمس منه إصراراً شديداً على فكرته، حتى وضعها أمامنا في صورة شاملة واضحة، مفصلة، قوامها مراعاة معاني النحو وتوخيها، فلقيت اهتماما ممّن جاؤا بعده أمثال الزمخشري والسكاكي، ومن طرف المحدثين لما لمسوا فيها من أفكار تتوافق مع عدة نظريات واتجاهات حديثة.

وقد أخذ النظم تعريفات عدّة: فهو " الهيئة أو الصورة التي تبرز فيها المعاني بوسيلة الألفاظ على نحو معين من التأليف والصياغة." [2] أو هو " تأليف الحروف والكلمات والجمل تأليفاً خاصاً يسمح للمتكلم والسامع أن يرتقيا بفضل بديع التركيب إلى مدارك الإعجاز في المعاني..." [3]

وتعرّض الجرجاني إلى مفاهيم عدة كانت أسس نظريته أهمها:

1- لا معنى للكلمة المفردة: يفرّق الجرجاني بين الحروف المنظومة التي تشكّل كلمة(لفظة) وبين الكلم المنظومة

---

[1]- الدلائل .ص 327.
[2]- أصول النقد الأدبي ، طه مصطفى ابو كريشة ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان ، الطبعة الأولى، 1996، ص 327.
[3]- المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة ، محمد الصغير بناني ، دار الحكمة.الجزائر 2001، ص 24.

التي نبغي من ورائها معنى. هاته الكلمات المفردة التي هي عبارة عن حروف متوالية في النطق لا يهتم بها الجرجاني ولا يقيم لها وزناً حتى تدخل في التأليف فلا مجال للمفاضلة بين الكلمات منفردة، وما يطلق على الكلمة من أوصاف الفصاحة والبلاغة أو الحسن والقبح ، لا يتصور إطلاقه عليها وهي منفردة " فلو كانت الكلمة إذا حسُنت حسُنت من حيث هي لفظ، وإذا استحقت المزية والشرف، استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها، دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم، لما اختلف بها الحال، ولكانت إما أن تحسن أبداً، أو لا تحسن أبداً. "[1]

ولا يفهم من كلام عبد القاهر- هذا- أنه يهمل اللفظ، وإنما يستحسنه ولا يفصل بينه وبين المعنى- كما فعل سابقوه من أنصار اللفظ أو مؤيدي المعنى- لما بينهما من ارتباط وشيج؛ فإذا وصفت اللفظة بالفصاحة- مثلاً- فتلك صفة تعود إلى معناها، أما إذا كانت الصفة تخص اللفظ فذاك يعني أن تلازمها دوماً. والأمر خلاف ذلك؛ فإننا نرى اللفظة تحقّقُ مبلغاً من الفصاحة في موضع، ونراها هي ذاتها غير فصيحة في موضع آخر. " ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر." [2] لهذا وصف عبد القاهر البعض بالجهالة لأنهم قالوا بفصاحة اللفظ المفرد ، وذلك محال " هل يتصور أن يكون تفاضل في الدلالة، حتى تكون هذه أدلّ على معناها الذي وضعت له من صاحبتها على ما هي موسومة به، حتى يقال إن"رجلاً" على معناه من "فرس" على ما يسمّى به. "[3]

ومن هنا فإن عبد القاهر يستحسن اللفظ من جهة ملاءمته لما يجاوره؛ بحيث يكون بين الألفاظ ائتلاف واتساق وتلاقٍ في معانيها " التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضمّ كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة." [4]

---

[1]- الدلائل ، ص 101.
[2]- الدلائل ، ص 99 .
[3]- المصدر نفسه ، 97 .
[4]- المصدر نفسه ، ص 97 .

إذن، الألفاظ أفرادًا لا تسمو الواحدة منها على الأخرى، ولا يحدث بينها تفاضل وإنما النظم هو الذي يحدِّد ذلك.

2- **علاقة اللفظ بالمعنى:** إن عبد القاهر- كما سبق- خالف الذين فصلوا بين اللفظ والمعنى، وثار على الذين انحازوا للفظ دون المعنى، أو العكس من سابقيه، وفي هذا يقول:

" واعلم أن الدّاء الدويّ والذي أعيا أمره في هذا الباب،غلطُ من قدّم الشعر بمعناه، وأقلّ الاحتفال باللفظ وجعل لا يعطيه من المزية- إن هو أعطى- إلا ما فضُل على المعنى. يقول:(ما في اللفظ لولا المعنى ، وهل الكلام إلا بمعناه)؟ "[1]

لكنّ عبد القاهر قضى على هذه الثنائية برأيه الراجح،حين جعل المزية تعود لكل منهما في أمر النظم لأن الألفاظ تبع للمعاني التي تتكون في الذهن ثم تأتي الألفاظ في مرحلة ثانية، لتعبّر عنها لذلك يقول: " وذلك أنه لو كانت المعاني تكون تبعاً للألفاظ في ترتيبها، لكان محال أن تتغير المعاني، والألفاظ بحالها لم تزل على ترتيبها، فلما رأينا المعاني قد جاز فيها التغير من غير أن تتغير الألفاظ وتزول عن أماكنها،علمنا أن الألفاظ هي التابعة والمعاني هي المتبوعة"[2] فأول مرحلة يمر بها الناظم هي ترتيب المعاني في النفس ثم يتبعها الألفاظ نطقاً أو كتابة بحيث ترتّب وترصف بحسب ترتّب المعاني " فهي ترتّب في النطق بسبب ترتّب معانيها في النفس وأنها لو خلت من معانيها حتى تتجرّد أصواتاً وأصداء حروف . لما وقع في ضمير، ولا هجس في خاطر أن يجب فيها ترتيب ونظم، وأن يجعل لها أمكنة ومنازل، وأن يجب النطق بهذه قبل النطق بتلك. "[3]

إذن أمر النظم متوقف على وضوح الصورة (المعنى) في ذهن الناظم، حتى إذا تمّ له ذلك أتبعها بالكلمات. لكن لا يكون الأمر عشوائياً أو كيفما جاء واتفق، "وإنما تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتيبها على حسب

---

[1]- الدلائل ، ص 262، 263 .
[2]- المصدر نفسه ، ص 359.
[3]- المصدر نفسه ، ص 106.

ترتيب المعاني في النفس؛ " [1] والناظم في كل هذا يتوخى الغرض الذي من أجله ساق كلامه، ويُعمل العقل والفكر في ذلك، لأنّ الصعوبة تكمن في أن لا يكتمل المعنى في نفسه ويتّضح، وليس في استحضار اللفظ "وكيف يُتصوّر أن يصعب مرام اللفظ بسبب المعنى؟ "[2] أما إذا انكشف له المعنى وبان، فإن اللفظ بين ناظريه: " وأنت إن أردت الحق لا تطلب اللفظ بحال، وإنما تطلب المعنى وإن ظفرت بالمعنى. فاللفظ معك وإزاء ناظرك، وإنما كان يُتصوّر أن يصعب مرام اللفظ من أجل المعنى، أن لو كنت إذا طلبت المعنى فحصّلته احتجت إلى أن تطلب اللفظ على حدة، وذلك محال." [3]

- ومن هنا فالناظم يُعمل جهده و فكره أثناء البحث عن المعنى وليس اللفظ ، " وإنك تتوخى الترتيب في المعاني، وتُعمل الفكر هناك، فإذا تمّ ذلك اتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها، وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ. "[4]

- وما نفهمه من كل ما تقدّم أن عملية النظم عملية عقلية ابتداءً " فالتركيب العقلي للمعنى هو أصل الأداء، ثمّ يأتي الرمز اللغوي في مرحلة تالية بحيث لا يطغى الرمز على المرموز بأية حالة." [5] فالألفاظ تأتي على قدر المعاني ولا تزيد عليها.

هذا ما تقاطع مع ما يعرف بالتجربة النفسية للأديب أو المتكلم عموماً؛ فوضوح التجربة وانكشافها في نفسه " هو الذي يوفّر له الوحدة والترابط في نظمه وعمله الأدبي ويهيّئ له الوسيلة لذلك ويجعل خطواته

1- الدلائل ، ص 102.
2- الدلائل ، ص 110 .
3- الدلائل ، ص 110، 111.
4- المصدر نفسه ، ص 105 .
5- مقالات نقدية- دراسة في كتاب الوهم للشاعر عبد المنعم المحجوب. www.akbar Libya.com.

منظورة الأبعاد بشيء من البصيرة والحسّ الفني ." [1] فوافق قول الجرجاني : واعلم أنّ مما هو أصل أن يدقّ النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت، أن تتحدّ أجزاء الكلام ، ويدخل بعضها في بعض، ويشتدّ ارتباط ثان منها بأول، وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه ههنا، في حال ما يضع يساره هناك، نعم وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأوّلين..." [2]

إذن قد علمنا كيف فرّق الجرجاني بين المعنى الذي هو فكرة ذهنية سابقة واللفظ الذي هو دليل على ذلك المعنى وتابع له، وكيف وضّح العلاقة الوشيجة بينهما، فبهما معاً يُتوصل إلى النظم، والمزية لهما مجتمعين. لكن هذه المزية لا تكتمل إلا بمراعاة عامل آخر هو عمود النظرية على غرار المعاني والألفاظ، هو النحو لأنه " لا يُتصوّر أن يتعلّق الفكر بمعاني الكلم أفراداً ومجرّدة من معاني النحو؛ فلا يقوم في وهم ولا يصحّ في عقل أن يتفكّر متفكّر في معنى فعل من غير أن يريد إعماله في اسم، ولا أن يتفكّر في معنى اسم من غير أن يريد إعمال فعل فيه، وجعله فاعلاً له أو مفعولاً، أو يريد منه حكماً سوى ذلك. وإن أردت أن ترى ذلك عياناً فاعمد إلى أي كلام شئت وأزل أجزاءه عن مواضعها، وضعها وضعاً يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فيها." [3]

3- **النحو**: لقد أولى عبد القاهر للنحو أهمية كبيرة، وجعله أساس نظريته، واعتبر من صدّ عنه وزهد فيه كمن صدّ عن فهم كتاب الله تعالى ومعرفة معانيه،حيث إن " الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها. وإن الأغراض كامنة فيها حتى يكون المستخرج لها، وإنه المقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه. " [4]

6- النقد العربي التطبيقي بين القديم والحديث ، طه مصطفى أبو كريشة ، مكتبة لبنان ناشرون الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، الطبعة الأولى ، 199 ، ص 40

[2] - الدلائل، ص 137.

2- المصدر نفسه ، ص 387.

3 - الدلائل ، ص 87.

ونـــحن نـــجد هذه العلاقة بين النحو والنظم مبثوثة في أكثر من موضع من كتاب "الدلائل"، مما يدلّ على أهميته البالغة عند عبد القاهر وأنه " أدرك أنـــه من خلال النحو يمكنه أن يدرك نظام اللغة. " [1]

لكنّ عبد القاهر قد وظّف هذا العلم توظيفا خاصاً مـــخالفاً لسابقيه، فلم يقصره على الإعراب (أواخـــر الكلمات) ومعرفة التركيب الصحيح من الـــخاطئ بل " هو الفيصـــل بين المعاني، والمعين على استخراجها." [2] فالكلمات لا معنى لها وهي منفردة، وإنما تحصل المزية بالضمّ على طريقة مخصوصة تتوخى فيها المعاني النحوية، فلا جمال للنص ولا دلالة له إذا جُـــمعت ألفاظـــه دون ترتيب ومراعاة العلاقات بين ألفاظه، وهاتـــــه العلاقـــات ماهي إلا معاني النحو، فاستعمالـــها هو السبيل إلى الإفهام والإبانة، والناظر لا يـــخرج أثناء نظمـــه عن قواعد اللغة العربية الـــمنصوصة في كتب النحو، فما النظم " سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض، والكلم ثلاث: اســـم وفعل وحرف. وللتعلق فيما بينها طرق معلومة: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما..." [3]

وليوضّح لنا الجرجاني أهمية تعلّق اللفظ بمعاني النحو، أتى بمثال هو بيت امرئ القيس " (قِفَا نَبْكِ مِن ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ) . لو قلنا فيه:(من نبك قفا حبيب ذكرى منزل.) "[4] ما أحالنا على معنى أو غرض لأنّ ألفاظه مجردة من معاني النحو.

وما يجدر الوقوف عنده- أيضا- أن الجرجاني يشير إلى فهم خاص للنحو، فهو يفرّق بين" قواعـــد النحـــو العربي" و" علم النحو" الذي يقصد به الإمكانات الـــمتعددة لتركيب نحوي واحد؛ والنظم " صورة لنمط ذهني

---

[1]- البلاغة والأسلوبية ، محمد عبد المطلب ، مكتبة لبنان ناشرون . الشركة المصرية للنشر- لونجمان ، الطبعة الأولى ، 1994 ، ص 45 .
[2]- المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، السيد أحمد خليل، دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت- لبنان، 1968، ص 56.
[3]- الدلائل، ص 57.
[4]- الدلائل، ص 387 .

أولي يعتمد على الـــمواضعة أولاً، ثم يتجاوزها ويخلق فيها بالإمكانات النحوية دلالات فنية تندّ عن إمكانـــات المواضعة اللغوية. "[1]

فالصورة التي في النفس تقوم على توخّي القواعد اللغوية المتواضع عليها، لكنّ المتكلم قد يتصـــرف فيهـــا بإمكانات لا نهاية لها. وعبد القاهر لم يكتف بمعرفة قوانين النحو، بل ما تؤديه هذه القواعد من معاني مختلفة بعد التصرف فيها.

هذا هو الجانب الذي سعى الجرجاني إلى الكشف عنه من خلال نظريته، فالـــمعاني النحويـــة هـــي الـــتي تكشف عن الـــمعنى الدلالي للتأليف، وأي تغيير في التركيب يتبعه حتماً تغيير في الدلالة " فأما إذا تغير النظم فلا بدّ حينئذٍ من أن يتغير المعنى..." [2]

ولا يقف الجرجاني عند هذا المستوى العادي من التأليف، بل يتجاوزه إلى مستوى الإبداع، مستوى العدول والانزياح، ويُرجع الفضل كذلك إلى توخي معاني النحو في أن تحقق ذلك المعنى اللطيف، فهو يجعل الـــمجاز والبديع، وغيرهما في منزلة الكلمة الواحدة المفردة، ومنه فالمزية لا تعود لأي ضرب من ضروب المجاز فقال: " إن هذه المعاني التي هي الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من بعدها، من مقتضيات النظـــم، وعنـــها يحدث، وبها يكون، لأنه لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد لم يتوخ بينها حكم مـــن أحكـــام النحو، فلا يتصور ههنا فعل أو اسم قد دخلتـــه الاستعارة من دون أن يكون قد ألّف مع غيره. " [3]

فكلُّ الحسن واللطف الذي نتذوقه ونستحسنه من إزاء ألوان البديع أو المجاز لا يعود إليهما بل إلى النظـــم الذي توخيت فيه المعاني النحوية " فاعمد إلى ما تواصفوه بالحسن (...) من معـــنى لطيـــف، أو حكمـــة، أوأدب، أو استعارة، أو تجنيس،أو غير ذلك مـــما لا يدخل في النظم، وتأمله(...) فإنـــك تعلم ضرورة أن ليس إلا أن قدّم

---

[1]- مقالات نقدية ، دراسة في كتاب الشاعر عبد المنعم المحجوب. www.akbar Libya.com.
[2]- الدلائل ، ص 274.
[3]- الدلائل ، ص 374.

وأخّر وعرّف ونكّـــر وحذف وأضمر، وأعاد وكرّر، وتوخى على الجملة وجهاً من الوجوه التي يقتضيها علـــم النحو." [1]

إذن النحو هو أساس نظرية النظم، ورأينا كيف أن الـــجرجاني وظّفه توظيفاً خاصاً بعد أن توصّل إلى وضع الفرق بين قواعد النحو الوضعية المعيارية الموجودة في كتب النحو والتي ليس للمتكلم(الناظم) فضلٌ فيها، وبـــين معاني النحو التي يقصـــد بـــها الإمكانات النحوية المتعدّدة، وهي ترجع إلى المؤلف الذي يختار ويتصرف فيهـــا على حسب ما يتّفـــق والغرض الذي من أجله ساق كلامه، حيث تكون قوانين النحو هي الأساس الذي يحدث الفروق بين الأساليب المختلفة.

فلقد أدرك الجرجاني الأثر البالغ الذي يحدثـــه النحو في المعنى، وكيف يتناسب ذلك مع غـــرض النـــاظم وإحساسه الخاص؛ لأن الألفاظ واحدة غير متغيرة، لكن يـــختلف الناس في استعمالها وتعليقها. وقد يلقى هـــذا وضوحاً أكثر إذا ما انتقلنا إلى بسط القضايا النحوية التي تناولها الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز "، وقد اخترنا منهـــا: التقديـــم والتأخير والـــحذف،وهاته القضايا لقيت تفصيلاً كبيراً في الدلائل كما أنـــها تتّفـــق مـــع عناصر التحويل في النظرية التوليدية والتحويلية بشكل كبير.

[1]- الدلائل ، ص 129، 130.

المبحث الثالث: أهم القضايا النحوية في النظرية.

إنّ طبيعة النظم تقتضي تعلّق اللفظة بغيرها تعلّقاً نحوياً، ولهذا التعلّق أشكال مختلفة أو إمكانات متعددة متغيرة عند الجرجاني؛ بحيث إن لكلّ إمكانية معنى يختلف ضرورة عن أخرى، فكلّ تغيير يطرأ على التركيب يسبب تغيراً في المعنى. لذلك فإن عبد القاهر وضّح لنا الفروق بين التراكيب اللغوية من خلال قضايا نحوية في كتابه" الدلائل" (التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والتعريف والتنكير، مواضع الاستفهام، ومواضع النفي،الفصل والوصل...)

وعالج الجرجاني تلك القضايا بطريقة مخصوصة رأى فيها ما لم يره سابقوه، فقد أنكر عليهم اعتبارهم أنّ الاختلاف في التعلّق راجع فقط إلى الاهتمام بأمرٍ على حساب أمرٍ آخر، أو لأنه إذا لم يعلم ذاك الأمر لم يضر السامع. وقد قال:" وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال إنه قدّم للعناية، ولأنّ ذكره أهم، من غير أن يذكر(...) حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبّعه والنظر فيه ضرباً من التكلّف(...) وكذلك صنعوا في سائر الأبواب فجعلوا لا ينظرون في الحذف والتكرار، والإظهار والإضمار، والفصل والوصل، ولا في نوع من أنواع الفروق والوجوه، إلا نظرك فيما غيره أهمّ لك، بل فيما إن لم تعلمه لم يضرك. لا جرم أن ذلك قد ذهب بهم عن معرفة البلاغة، ومنعهم أن يعرفوا مقاديرها."[1]

[1] - الدلائل ، ص 149.

- **التقديم والتأخير:**

من المعلوم أن نظام رصف عناصر الجملة العربية (المسند والمسند إليه) أنّ المسند متقدّم والمسند إليه متأخّر وذلك في مثل: فعل+ فاعل أو مبتدأ + خبر. لكن قد يختلُّ هذا النظام فيقدّم عنصر حقّه التأخير أو يؤخّر عنصر حقّه التقديم.

هاته العملية توصف بأنها " نظرات تدلّ على أصالة الفكر وعمق في البحث يوضح مجال كل كلمة ووضعها الذي يتلاءم والسياق، فلم تُقدّم الكلمة في القرآن الكريم حسبما وردت في الذهن، ولم تؤخّر اعتباطاً وبدون حساب دقيق وإنما للتقديم ميزان توزن به الكلمات، وللتأخير مزايا فنية يلاحظها الذهن في معنى كل كلمة ومالها من ميزات وخصائص في التركيب."[1]

أما الجرجاني فيعرف هذا الباب فيقول: " هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن واسع التصرف ، بعيد الغاية لا يزال يفترُّ لك عن بديعة ، ويفضي بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ، ويلطُف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ، أن قُدِّم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان "[2]

وجعل التقديم على ضربين، تقديم على نية التأخير، وتقديم لا عل نية التأخير، ويرى أن لكل تقديم مغزى فقال: " واعلم أن من الخطإ أن يُقسَّم الأمر، في تقديم الشيء وتأخيره قسمين ، فيُجعل مفيداً في بعض الكلام ، وغيرَ مفيدٍ في بعضٍ ؛ وأن يُعلَّل تارةً بالعناية وأخرى بأنه تَوْسِعةٌ على الشاعر والكاتب ، حتى تطَّردَ لهذا قَوافيهِ ولذاك سجعُه ."[3]

فليس التقديم والتأخير وتركهما سواء، فبين مواضع التقديم المختلفة موضحاً الدلالات المترتبة عنها ومن هاته

---

[1] - التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ- المملكة العربية السعودية ص 148.

[2] - الدلائل ، ص 148.

[3] - الدلائل ، ص 151.

المواضع:

– التقديم مع الاستفهام بالهمزة للتقرير: فإذا قلت: (أفعَلْتَ؟) فبدأت بالفعل، كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك، أن تعلم وجوده. وإذا قلت:

(أأنتَ فَعلْتَ؟) ، فبدأت بالاسم، كان الشك في الفاعل، من هو، وكان التردُّدُ فيه(...) وتقول : (...) أأنت بنيت هذه الدار ؟ أأنت قلت هذا الشعر ؟ أأنت كتبت هذا الكتاب ؟ (...) . ذلك لأنك لم تشك في الفعل أنه كان. كيف ، وقد أشرت إلى الدار مبنيةً والشعرِ مقولاً والكتابِ مكتوباً ؟ وإنما شَككْتَ في الفاعل من هو . فهذا فرقٌ لا يدْفعُه دافعٌ ، ولا يشكُّ فيه شاكٌّ،... "[1]

– الاستفهام بالهمزة للإنكار: إنكار لفعل لِم كان. أو إنكار كون الفعل من أصله، فإذا قُدّم الاسم كان الإنكار للفاعل مثل: " قولك للرجل قد انتحل شعراً: (أأنتَ قلتَ هذا الشعرَ ؟ كذبتَ لستَ ممَّنْ يُحسِنُ مثلَهُ. " [2] فهذا إنكار أن يكون هو قائله وليس لقول الشعر.

وإذا كان الإنكار للفعل من أصله، " فذلك مثل قولك للرجل يدّعي أنّ قولاً كان ممن تعلم أنه لا يقوله: (أهو قال ذاك بالحقيقةِ أمْ أنتَ تغْلطُ ؟) " [3] فهنا إنكار لأن يكون الرجل قد قال القول أصلاً.

–التقديم مع النفي: (ما فعلتُ) و (ما أنا فعلتُ)، فالأولى: أن تريد نفي فعل عنك لم يثبت انه واقع والثانية: تريد نفي فعل عنك ثبت أنه واقع، فإذا قلت : " (ما قلتُ هذا): كنت نفيت أن تكون قد قلت ذاك، وكنت نوظرت في شيء لم يثبت أنه مقول. وإذا قلت: (ما أنا قلتُ هذا): كنت نفيت أن تكون القائل له، وكانت المناظرة في شيء ثُبت أنه مَقول. " [4] ولذلك يصلح في الأول (ما فعلتُ) " أن يكون المنفي عامّاً

[1] - الدلائل ، ص 151.
[2] - المصدر نفسه ، ص 153.
[3] - المصدر نفسه ، 153 .
[4] - المصدر نفسه ، ص 160.

كقولك: (ما قلت شعراً قطّ)، (...) وذلك لأنه يقتضي المحال، وهو أن يكون ههنا إنسان قد قال كلّ شعر في الدنيا.." [1]

– تقديم النكرة على الفعل، أو تقديم الفعل عليها: " إذا قلتَ: (أجاءك رجل ؟) فأنت تريد أن تسأله: هل كان مجيء من أحد من الرجال إليه ؟ فإن قدمت الاسم فقلت: (أرجل جاءك ؟) فأنت تسأله عن جنس من جاءه: أرجل هو أم امرأة ؟ ويكون هذا منك إذا كنت علمت أنه قد أتاه آتٍ، ولكنك لم تعلم جنس ذلك الآتي." [2]

فإذا قلت: (أجاءك رجل ؟) كان سؤالاً عن مجيء واحد من الرجال. أما إذا قدّمت الاسم على الفعل فقلت: (أرجل جاءك ؟) كان سؤالك عن الجنس، أكان الآتي رجلاً أم امرأة ؟ وأنت تعلم أن الإتيان وقع.

ومن هنا فإن تقديم الاسم النكرة عن الفعل يكون إما للسؤال عن الفاعل عينه أو جنسه،ومحال أن تقدم الاسم النكرة على الفعل من غير أن تريد السؤال عن الجنس.

إذن فعملية التقديم والتأخير في نظام الجملة العربية تكشف عن المعاني الإضافية وتبرزها وما هي إلا " نقل مورفيم من موقع أصل له إلى موقع جديد مغيراً بذلك نمط الجملة، وناقلاً معناها إلى معنى جديد تربطه بالمعنى الأول رابطة واضحة، هو عنصر من عناصر التحويل. "[3]

- **الحذف:**

إنّ نظام اللغة العربية يقتضي أن يكون المسند والمسند إليه في الجملة معاً، لكن قد يحذف أحدهما فيكون ذلك خروجاً عن التركيب المألوف، ليس عبثاً ولكن لأغراض جليلة.

---

[1] - الدلائل ، ص 160.
[2] - المصدر نفسه ، ص 173.
[3] - في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق) ، خليل أحمد عمايرة ، عالم المعرفة- جدة ، ص 93.

فلهذا الحذف غرض وغاية ، فهو " التخفيف من ثقل الكلام وعبء الحديث، ومن منا لا يفضل الخفة على الثقل، ما دامت الخفّة هي المطلوبة، والمقام يستدعيها والحال يطلبها، ففي الخفة تلك تكمن البلاغة ويسمو الكلام، حتى يصل إلى قوة السحر في التأثير، وتكون الجملة مع الحذف أشد وقعاً على النفس، وأتم بياناً، وأفصح من الذكر. "[1] فقد يجد المتكلم نفسه في حاجة لهذا الإجراء ليعبر عما في نفسه بكلّ دقة "والأساس العام لمفهوم الحذف ينطلق من الحاجة الفنية للمعبّر في استخدام هذا النسق من الأداء. بحيث يكون العدول عنه إفساداً له." [2]

وقد تعرّض الجرجاني لهذه الظاهرة وفسّر جميع جوانبها ودواعيها والمعاني المبتغاة منها وضرب الأمثلة الدّالة على ذلك، فعرفه بأنه " باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر، أفصحَ من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبنْ، وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبُر وتدفعها حتى تنظر. "[3]

وللحذف صور متعددة منها :

- ومثال ذلك : [4]

وعَلِمتُ أنّي يَوْمَ ذَا كَ مُنازِلٌ كَعْباً ونَهْدَا

قَومٌ إذَا لبِسُوا الحَدِي دَ تَنَمَّرُوا حَلَقاً وَقِدَّا

يرى عبد القاهر أن هذا الحذف هو موضع اللطف والظرف ، فإذا تكلفنا ذكر ما حذفه الشاعر أدركنا أن الرمزية في الحذف : " وتأمّل الآن هذه الأبيات كلّها واستقرئها واحداً واحداً ، وانظر إلى موقعها في نفسك

[1] - التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، عبد الفتاح لاشين ، ص 159.
[2] - البلاغة و الأسلوبية ، محمد عبد المطلب ، ص 235.
[3] - الدلائل ، ص 177.
[4] - الدلائل ، ص 178 .

وإلى ما تجده من اللّطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منه . ثم تكلّف أن تردّ ما حذف الشاعر (...) فإنك تعلم أنّ الذي قلتُ كما قلتُ ، وأنْ ربَّ حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد ..." [1]

فالحذف يكون لأغراض في نفس المتكلّم وهو " التّخفيف من ثقل الكلام وعبء الحديث ، ومن منّا لا يفضّل الخفّة على الثقل ، ما دامت الخفّة هي المطلوبة ، والمقام يستدعيها والحال يطلبها ، ففي الخفة تلك تكمن البلاغة ويسمو الكلم ، حتى يصل إلى قوة السحر في التأثير ، وتكون الجملة مع الحذف أشدَّ وقعاً في النفس وأتمّ بياناً ، وأفصح من الذكر ." [2]

- **الفصل والوصل :**

بعد أن تحدث الجرجاني عن مستوى التأليف في الجمل وبيّن علاقاتها فيما بينها ، انتقل ليوضّح العلاقة بين الجمل في حدّ ذاتها ن، فوجد أن للفصل والوصل فضلاً جليلاً في إحداث الترابط بين معاني مع أخرى قبلها ، أو جملة بثالثة تتوسطهما جملة ثانية لا علاقة لها بهما . فبيّن مواضع الفصل ومواضع الوصل " فما أجلّ علمه ، وأعظم بيانه! ، فقد أوضح لنا الأسرار الكامنة ، والمعاني الخفيّة والدلالات المستقاة من تلك التراكيب النحوية التي تحتوي على الفصل والوصل ." [3] وهاته القضايا تناولها علماء النحو في كتبهم ، لكنّ الجرجاني نظر إليها بعين أخرى .وكان الفصل والوصل من القضايا الحسّاسة في التراكيب اللغوية " ومما هو أصل في هذا الباب أنك ترى الجملة وحالها مع التي قبلها حال ما يعطف ويقرن إلى ما قبله ثم تراها قد وجب فيها ترك العطف لأمرٍ فيها صارت بـه أجنبية عما قبلها ." [4]

إذن فهناك حالات تتحكم في فصل الجمل أو وصلها ؛ هي حالات تتعلق بالأغراض والمقامات ، ورغم دقتها

---

[1] - الدلائل ، ص 182 .
[2] - التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ، عبد الفتاح لاشين ، ص 159 ،160 .
[3] - المرجع نفسه ، ص 139.
[4] - الصناعتين ، أبو هلال العسكري ، ص 179.

وخفائها أدركها الجرجاني فقال: " واعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه إنه خفيّ غامض ودقيق صعب ، إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدقّ وأصعب ." [1]

إنّ هذا الباب من أصعب وأغمض الأبواب البلاغية ، فقد وضّح لنا " ما ينبغي أن يصنع في الجمل ، من عطف بعضها على بعض ، أوترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى ." [2]

ولقد شرع الجرجاني في بيان عطف المفرد على المفرد ، الذي على منواله يكون عطف الجمل فقال :" ومعلوم أنّ فائدة العطف في المفرد أن يشرك الثاني في إعراب الأول (...) وإذا كان هذا أصله في المفرد ، فإنّ الجمل المعطوف بعضها على بعض على ضربين ، أحدهما أن يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب ، وإذا كانت كذلك كان حكمها حكم المفرد. " [3]

إذن هذه أمثلة عن التحليلات النحوية التي اتّخذها الجرجاني وسيلة للكشف عن معاني ودلالات التراكيب الجملية ، فلقد أدرك الجرجاني أن لكلّ تركيب لغوي معنى يوافقه منطقياً .

[1] - الدلائل ، ص 245 .
[2] - المصدر نفسه ، ص 239 .
[3] - المصدر نفسه ، ص 239

نظرية النحو التوليدي والتحويلي : أولياتها، مبادئها ، إجراءاتها ومكوناتها.

الفصل الثاني

المبحث الأول : أوليات نظرية النحو التوليدي والتحويلي .

المبحث الثاني : مبادئ النظرية التوليدية والتحويلية .

المبحث الثالث : إجراءات النظرية التوليدية التحويلية ومكوناتها .

أفرام نوام تشومسكي

أهمّ عالم لغوي معاصر ، ولد في مدينة فيلادلفيا في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1928 من أسرة يهودية متطرّفة ، تابع دراسته الجامعية في جامعة بنسلفانيا في مجالات الألسنية والرياضيات والفلسفة .حاز على الدكتوراه من هذه الجامعة . ومن أهمّ مؤلفاته :

" البنى التركيبية " عام 1957 .

" أوجه النظرية التركيبية " عام 1965 .

" دراسات الدلالة في القواعد التوليدية عام 1972 .

اشتهر تشومسكي في بادئ الأمر في مجال الألسنية ، إلا أن شهرته لم تقتصر على هذا المجال العلمي بل تعدّته إلى مجال الكتابة السياسية ؛ فقد عُرف بانتقاداته لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية ويعتبر تشومسكي مؤسّس النظرية التوليدية التحويلية التي هي – حالياً – من أكثر النظريات الألسنية انتشاراً في الجامعات الأمريكية والأوروبية والعربية وغيرها .

الفصل الثاني: النظرية التوليدية والتحويلية: أولياتها ، مبادؤها، إجراءاتها ومكوناتها:

لقد أحدثت النظرية التوليدية التحويلية ثورة في علم اللغويات الحديثة بعد صدور مؤلف" البنى التركيبية" **عام 1957** لصاحبه **"نوم تشومسكي"** أهم عالم لغوي معاصر، حيث تجاوز به مبادئ المدارس البنيوية. فما هي أهم الأفكار التي نادى بها هذا العالم ؟

المبحث الأول: أوليات نظرية النحو التوليدي والتحويلي:

كانت الدراسات اللسانية الوصفية هي السائدة ما قبل النظرية التوليدية التحويلية التي شغلت الناس؛ فجذبت أفكار تشومسكي الكثير من علماء اللسانيات: المساندين الذين وافقوه وأقاموا بحوثاً إلى جانب بحوثه أو المعارضين الذين لم ترق لهم أفكاره فأنشأوا النقود حولها.

إن **تشومسكي** لا ينفصل تماما عن الاتجاه الوصفي البنيوي الذي أخذ عنه بعض الأفكار والمناهج. فقد تأثر **ببلومفيلد** صاحب المذهب السلوكي **وها ريس** صاحب المذهب التوزيعي خاصة .

ويعتبر **فردناند دي سوسير** أب اللسانيات الحديثة، ويمكن القول إنه مؤسس المنهج الوصفي حين تجاوز الدراسات اللغوية التاريخية، وله يعود " الفضل الأول في إرساء الألسنية على دعائم علمية ثابتة عندما أشار إلى أن الألسنية تتوسل، بصورة أساسية، دراسة عمل اللغة وليس دراسة تطورها."[1]

ومن أهم المبادئ التي نادى بها **دي سوسير** هي :

- اللغة مادة البحث الألسني.

- استحسان المنهج الوصفي عن المنهج التاريخي وبيان الفرق بينهما، واعتبار اللغة بنية ثابتة.

[1]- الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت ،الطبعة الثانية ، 1983 ، ص 148.

– فصل اللغة عن المجتمع (بعد اللغة الداخلي والخارجي).

– التفريق بين اللغة والكلام ؛ " فاللغة موجودة في أذهان الأفراد في مجتمع ما بالقوة وهي طاقة مخزونة بدلالاتها وكل ما تشير إليه، والكلام هو الأداء أو تحقيق وتجسيد اللغة في مواقف الحياة المتعددة." [1]

سادت أفكار **دي سوسير** العالـــم بأسره ، وقد تأثر بها أصحاب المدارس البنيوية ، وهي التي عرضت في الكتاب الذي جمعه تلامذته بعد وفاته " **دروس في اللسانيات العامة**" . و" تطورت مدارس مـــختلفة في علم اللغة البنوي انطلاقا من مؤلف دي سوسير وتفسيراته المختلفة." [2]

لكن ما يهمنا نحن البنيوية الأمريكية التي يعتبر كل من سابير وبلومفيلد الرائدين الأولين لـــها .

والجدير بالذكر أن تشومسكي تأثر كثيراً ببلومفيلد وهاريس حيث كان لهـــما الأثر البارز في فكره. فبلومفيلد (1887، 1949)، دعا إلى دراسة اللغة دراسة علمية، وخص بالدراسة اللغة المحققة المنجزة التي أنتجها الأفراد في لغة ما فالباحث يعتمد في " دراسته للظواهر اللغوية على تحليل العناصـــر المحسوســـة الموجودة في تراكيب النص الذي يراد تحليله تحليلاً علمياً." [3]

ويقصد بلومفيلد بالتحليل ، التحليل إلى المكونات المباشرة " التي هي في حقيقـــة الأمر الـــمباني الصرفية التي تتألف منها الجملة." [4]

ويكون هذا التحليل كالآتي:

مثلا الجملة: **اكتَشفَ العُلماءُ كوكباً جدِيداً** . تتكون من:

---

[1]- في نحو اللغة وتراكيبها ، خليل أحمد عمايرة ، ص 40 ،41.
[2]- تاريخ علم اللغة الحديث ، جرهارد هلبش ، ترجمه وعلق عليه سعيد حسن بحيري ، مكتبة زهراء الشرق.القاهرة ، الطبعة الأولى 2000، ص91.
[3]- في نحو اللغة وتراكيبها ، خليل أحمد عمايرة ، ص 46.
[4]- المرجع نفسه ، ص 47.

اكتشف+ العلماء+ كوكباً جديداً . وتتكون هاته العناصر بدورها من:

اكتشف

ال+ علماء

كوكبا

جديدا

"ويبدُو أنّ هذه الفكرةِ في نَظريةِ بلومفيلد قد وَجدَتْ قَبُولاً كبيراً، فاعْتمدَها هاريس في نظريتِه التّوزيعيَة وتشومسكي في إِحْدى طُرُقِه في تَحليلِ النُّصوص ، المسَمَّاة بإِعَادة الكتابة أو تَحلِيلُ الشَّجرة ."[1]

إضافة إلى هذا فإن بلومفيلد تأثر بالمذهب السلوكي ، فاعتبر اللغة استجابة كلامية لحافز أو مثير.وليوضح فكرته جاء بمثاله الشهير عن "جاك" و"جيل" وفيه: "لنفترض أن "جاك" و"جيل" يتنزهان. تشعر "جيل" بالجوع وترى تفاحة على شجرة. فتقوم بصوت يصدر عن حنجرتها ولسانها وشفتيها. يقفز "جاك" فوق السور ويتسلق الشجرة ويأخذ تفاحة يأتي بها إلى "جيل" ويضعها في يدها.تأكل "جيل" التفاحة ."[2] وجعل هذا المثال موضحا في ثلاث مراحل:

أ- أحداث عملية سابقة لعملية التكلم. (الحافز)

ب- عملية التكلم (الاستجابة للحافز)

ج- أحداث عملية تلي عملية التكلم.

[1] - في نحو اللغة وتراكيبها ، خليل احمد عمايرة ، ص 47.
[2] - الألسنية (علم اللغة الحديث) ، ميشال زكريا ، ص 234.

يهتمّ بلومفيلد بوصف وتحليل الحوافز التي اقتضت استجابة كلامية " فما الكلام إلا تحريك للمعنى وللسامع وارتداد منهما نحو اللفظ والمتكلم. فالأمر يتعلّق إذاً بوصف أجزاء الكلام التي تحرّك وتسبِّب الإثارة والأجزاء التي تنبّه ولا تقتضي الجواب. وهذا يقتضي الانطلاق من مدوّنة تجمع أصنافا من الكلام في أحوالها ومقاماتها المختلفة لاكتشاف أيّ الأجزاء يحرّك الأجزاء الأخرى أو أيهما لا يحرّكها عند التركيب فالعناصر التي يؤدي وجودها بجوار عنصر آخر إلى تغيير البنية هي التي تشكّل مادة التوزيع."[1]

لكن هذا التوزيع تحكمه قواعد، فهناك الإيجابي؛الذي علاقاته سليمة مستقيمة مثل:اشترى زيد سيارة. فالعلاقات بين مكوناها واضحة(اشترى زيد، سيارة، اشترى سيارة) وكلّها تصبُّ في معنى واحد. أما إذا قلنا: سيا_زيد_رة_اشترى ، فهذه العلاقات سلبية لا فائدة منها لأن توزيعها غير سليم " فقدرة العبارات على الانسجام مع عبارات أخرى أو عدم انسجامها هو معنى التوزيع. "[2]

ومحصّلة رأي بلومفيلد أن " أجزاء الكلام لا تنتظم في اللغة بالصدفة ولا بالاعتباط وإنما بالاتساق مع الأجزاء الأخرى التي تندرج فيها وفي أوضاع بعينها دون أوضاع أخرى." [3]

أما هاريس (1909،)، فقد كان بادئ الأمر من أتباع بلومفيلد وهو من طور المنهج التوزيعي، فغدا يعرف به أكثر من بلومفيلد . وكان التحليل إلى المكونات المباشرة على الشكل : [4]

---

[1]- المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة ، محمد الصغير بناني، ص 74.
[2]- المرجع نفسه ، ص 75 .
[3]- المرجع نفسه ، ص 74 .
[4]- محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، شفيقة العلوي ، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع . بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 2004. ص 37.

جاء	ال ولد	ال بارحة
جاء	الولد	البارحة
جاء الولد البارحة		

أو :

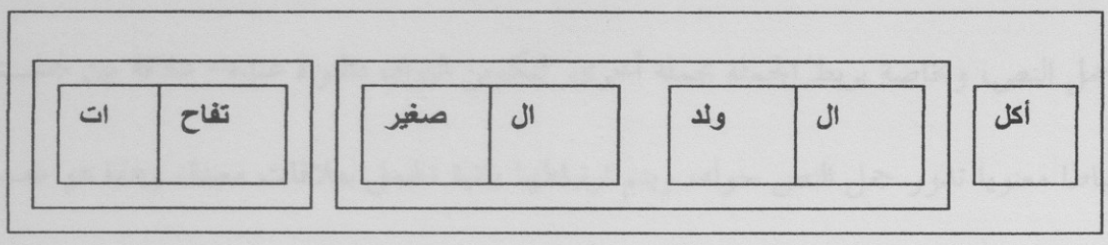

لكن لهذا المنهج التحليلي عيوباً اكتشفها هاريس، فرأى أنه غير قادرٍ على تحليل بعض الظواهر اللغوية،" فهو يعجزعن تقطيع الجمل المتداخلة(أي المركبة)بعلاقات حالية، نعتية، ظرفية، مفعولية الخ "[1]

فدفعه ذلك إلى إجراء بعض التعديلات عليه " مفجّراً بذلك ثورة في مجال البحث اللساني الأمريكي جسّدها النحو التحويلي لنعوم تشومسكي." [2]

هاته الثورة التي أقامها هاريس على المنهج التوزيعي لبلومفيلد تضمّنتها مقالةٌ نشرت" بعنوان Transformar grammar سنة 1952 في Journal of Amirican linguistics.vol.20 ، ويتحدّث فيها عن استعمال الرموز لتحليل الجمل، بأن يرمز إلى ما في الجملة من مبانٍ صرفية برموز تيسِّر أمر تحليلها ثم يتحدث عن الجمة التوليدية وعن القواعد والقوانين اللازمة لتوليدها." [3]

[1] - محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، شفيقة العلوي ، ص 38.
[2] - المرجع نفسه ، ص 38.
[3] - في نحو اللغة وتراكيبها ، خليل أحمد عمايرة ، ص 49.

إنّ هاريس يرى بأن المباني الصرفية أو المورفيمات تتألف فتشكّل تركيباً هو الجملة، وهاته الجملة بارتباطها مع جمل أخرى تشكّل نصّاً أدبياً لا نستطيع فهم جملة فيه دون ربطها بالجمل الأخرى. وهكذا فإن التحويل عنده يعني العلاقة بين جملتين يشكّل معناهما مغزى النص ، والجمل الباقية تعود عليهما وتتعلّق بهما؛ فارتباط هذه التراكيب " يكوّن سلسلة لغوية ليس من اليسير فهم حلقة فيها (الجملة) إلا بربطها بغيرها من جمل النص، وبخاصة بربط الجملة بجملة أخرى لتكوين النواة، فالنواة عنده- علاقة بين جملتين ترتبطان ارتباطا معنويا تدور جمل النص حوله، ويتم ارتباطها ببقية الجمل بعلاقات معينة، وهذا هو معنى التحويل." [1]

وهذا التحليل الجديد الذي استعمل فيه هاريس رموزا للمباني الصرفية أخذ الشكل: [2]

ج ← م س+م إ

م س ← م ف

م إ ← م إ س

م ف ← ج ف+ز

ج ف ← ذهب

ز ← ماض

م إ س ← تعريف+إ س

[1] - في نحو اللغة وتراكيبها ، خليل احمد عمايرة ، ص 50 .
[2] - محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، شفيقة العلوي ، ص 42،43.

تعر ← ال

إ س ← رجل

أو تأخذ الشكل: [1]

ذهب	ماض	ال	رجل
فعل	ماض	أ د	اسم
فعل	زمن	اسم	
م ف		م إ س	
م ف		م إ	

وقد تلقّى كل من بلومفيلد وهاريس نقداً من طرف تشومسكي.

فعن بلومفيلد، رأى تشومسكي أنّ كلّ ما جاء به من تفسير سلوكي يحط من قيمة الإنسان ويضعه في مترلة الحيوان، ووصف المذاهب السلوكية " بأنها مذاهب تبسيطية تجعل الإنسان شبيهاً بالآلة." [2]

فهو يرفض مبادئ المذهب السلوكي جملة لأنها " لا تفرّق بين السلوك الإنساني والسلوك الحيواني. بل يذهب إلى أبعد من ذلك إذ يؤكّد أن اللغة هي التي تميز الإنسان عن الآلة وعن الحيوان ويؤكد أيضا، أن اللغة هي، في الواقع، غير خاضعة لأي حافز. " [3]

---

[1] - محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، شفيقة العلوي ، ص 42،43.
[2] - الألسنية (علم اللغة الحديث) ، ميشال زكريا ، ص 265.
[3] - المرجع نفسه ، ص 265،266.

أمّا عن هاريس والمدرسة البنيوية ككل، فيرى تشومسكي "إن البنيانية ترسم المستوى السطحي من الكلام ولا تغوص ،بالتالي، في المستوى العمقي ولا تراعي وجود التحويل (...) فالألسنية البنيانية لا تحاول تفسير الكلام بل لا تبحث في مسار عملية التكلم ولا في آلياتها الكلامية ضمن المظهر الإبداعي في استعمال اللغة." [1]

إذن لقد رأى تشومسكي قصوراً في منهج بلومفيلد وأستاذه هاريس، لكنّه رغم هذا أخذ عن بلومفيلد طريقة التحليل إلى المؤلفات المباشرة، وعن هاريس استعمال الرموز في التحليل، فأظهر نظرته الجديدة في التحليل التي تمثّلت في مدرسته التوليدية والتحويلية، متأثراً ومتبنياً اتجاهات عدّة ساهمت كلّها في خلق نظريته بالصورة التي أتت عليها .

[1]- الألسنية (علم اللغة الحديث) ، ص 268.

المبحث الثاني : مبادئ النظرية التوليدية والتحويلية.

جاء تشو مسكي بأفكار جديدة حدّدت مسار نظريته ، ونظريته تحمل اتجاهاً عقلياً ، فهو ينتمي إلى العقلانيين أمثال أفلاطون وديكارت وهمبولدت" الذين يعتقدون أنّ العقل في ذاته مصدر كل معرفة وهو أسمى من الحواس ، ومستقلٌ عنها وأنّ هناك متصوّرات وقضايا مسبقة مكتسبة دون تجربة ، يقوم العقل من خلالها بتفسير معطيات التجربة."[1]. فقد دعا تشو مسكي إلى العودة للأصول العقلانية القديمة وإحيائها من جديد بعد أن كان النظر قد صُرف عنها .

وتأثر كذلك بالنحو العقلي الذي تمثّله مدارس بوروايال التي ظهرت في1637" وقد نُشر أول عمل لأصحابها في سنة 1660 تحت عنوان النحو العام والعقلي Grammar générale et raisonnée (...) ومن الواضح أن أساتذة هذه المدارس كانو متأثرين بالمذهب العقلي Rationlism (...) ومهما يكن من أمر ، فإن أصحاب هذا النحو كانوا يرون قي العقل البشري قوة لا تضاهى." [2]

وبهذا تكوّنت لدى تشومسكي فرضية نظريته الأساسية القائلة بأنّ كل لغات البشر هي من أصل واحد وبنية واحدة موجودة قي العقل البشري بالفطرة يختلف استعمالها من مجتمع إلى آخر . ومن أهم المفاهيم في هاته النظرية :

- **حقيقة اللغة.**
- **الكفاءة اللغوية والأداء الكلامي .**
- **البنية السطحية والبنية العميقة .**

---

[1]- اللسانيات (النشأة والتطور) ، أحمد مومن ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2002.

[2]- المرجع نفسه ، ص 49.

- حقيقة اللغة.
- الكفاءة اللغوية والأداء الكلامي .
- البنية السطحية والبنية العميقة .
- النحو.
- التوليد .
- التحويل .
- المقبولية والنحوية .

1) **حقيقة اللغة** : يرى تشومسكي أنّ اللغة ملكة يختصُّ بها الإنسان ،وهي هبة فطرية " لا توجد إلا عند الإنسان دون سائر المخلوقات وأن اللغة العادية اليومية إبداع مستمر. "[1]

ويذهب صاحب كتاب اللسانيات النشأة والتطور إلى أن تشومسكي عرّف اللغة بأنها:" مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجمل . كل جملة طولها محدود ومؤلّفة من مجموعة متناهية من العناصر. "[2]

أما عن بنى أو قواعد اللغة فإن تشومسكي يرى " بأنّ كل اللغات البشرية تنبع من أصل واحد من لغة واحدة تعكسها بنية فطرية محدّدة في العقل.وهذه البنية إذا ما تعرّضت للبيئة تصبح قادرة على ترجمة نفسها بواسطة قواعد تحويلية إلى أنساق لغوية نحوية متباينة حسب تباين المجتمعات والحضارات. "[3]

---

1 - هكذا تحدث تشومسكي، ترجمة وتعليق أسامة القفاش ، 2002/7/28. . www.Islam On line. net

2- اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، ص 209.

3- الحوار المتمدن ، اللغة البشرية بين فطرية جومسكي وبنوية بياجي ، فارس نظمي ، العدد :1242 ، 28/ 6/ 2005 . www.rezgar .com

إن هذه البنية الفطرية الكلية موجودة في ذهن الطفل منذ طفولته ، وبها يستطيع أن يكوّن قواعد لغته الأم أثناء نموه إلى أن يصل إلى مرحلة يتمكن فيها من قواعد لغته، فيستطيع إنتاج جملها وفهمها في نفس الوقت، فهو " يملك بالفطرة تنظيماً ثقافياً يمكن تسميته بالحالة الأساسية للعقل." [1]

2 – الكفاءة اللغوية والأداء الكلامي : حين يصل الطفل إلى مرحلة يميّز فيها بين القواعد الذهنية الأوّلية لديه واللغة التي يسمعها من المجتمع، يكون قد أمتلك قواعد لغته الأمّ وأصبح بإمكانه إنتاج جمل لا حصر لها انطلاقاً من قواعد محدودة ، وكذلك التمييز بين التعابير الصحيحة وغير الصحيحة . فتشومسكي يرى أنّ " الطفل يتناول مادته اللغوية، في مرحلة اكتساب اللغة ، من لغة كلّية محدّدة فيقتصر عمله على تحديد لغته من ضمن مجموعة اللغات المحتملة أي من ضمن ما يمكن تسميته باللغة الكلية. "[2] فالطفل في مراحله الأولى يمتلك لغة كلّية لكن حين يتعرض للغة مجتمعة يحاول إيجادها ضمن لغته الكلية ليستغني عن اللغات الأخرى التي يحتمل أن تكون لغة مجتمع غير مجتمعه .

وقد ميّز تشومسكي بين الكفاية اللغوية التي هي " المعرفة الضمنية لمتكلّم اللغة المثالي بقواعد لغته التي تتيح له التواصل بواسطتها. "[3] وتمثّل آخر مرحلة من مراحل اكتساب قواعد لغته والتمكّن منها ،وبين الأداء الكلامي الذي هو " طريقة استعماله للكفاية اللغوية بهدف التواصل في ظروف التكلّم الآنية. " [4]

4- الألسنية (علم اللغة الحديث) ، ميشال زكريا، ص 262، 263 .

[2] - مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة ، ميشال زكريا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى ، 1984 ، ص 157 .

[3] - الألسنية(علم اللغة الحديث) ، ص 261.

[4] - المرجع نفسه ، ص 261.

فالكفاية إذاً هي معرفة الفرد بقواعد لغته ، أما الأداء فهو التحقيق الفعلي للغة باستعمال تلك القواعد المحدودة لإنتاج الجمل،وهو بهذا يستطيع فهم وإنتاج ما لا حصر له من الجمل، ويمكنه كذلك التمييز بين التراكيب التي تدخل ضمن لغته والتي تخرج عنها باستعمال حدسه اللغوي .

3 – البنية السطحية والبنية العميقة :البنية العميقة هي " التركيب الباطني الموجود في ذهن المتكلم وجوداً فطرياً.و هي أول مرحلة من عملية الإنتاج الدّلالي للجملة . إنها التركيب المستتر الذي يحمل عناصر التفسير الدّلالي "L'interprétation semantique" [1] . فالبنية العميقة هي ما يمتلكه المتكلم من تراكيب معنوية موجودة في ذهنه (مخزنة) وحين يريد إيصال فكرة ما ، ما عليه إلا أن يعود إلى معطيات بنيته العميقة فالمعاني كلها موجودة فيها .

أما البنية السطحية فهي " تتمثّل في التركيب التسلسلي السطحي للوحدات الكلامية المادية،المنطوقة أو المكتوبة . إنها التفسير الصوتي للجملة Son interprètation phonètique " [2] ، وتتميز هذه البنية السطحية بخصائص هي : [3]

– إنها البنى الأولى المولّدة في قاعدة النحو.

– إنها المجال الوحيد للملء المعجمي .

– إنها البنى التي تُؤوّل دلالياً.

– إنها البنى التي يمكن أن تحوّل بواسطة تحويلات إلى بنى سطحية سليمة البناء.

---

[1]- محاضرات في المدارس اللسانية ، شفيقة العلوي ، ص 52،53.

[2]- المرجع نفسه ، ص53.

[3]- اللسانيات واللغة العربية ،عبد القادر الفاسي الفهري ، منشورات عويدات .بيروت- باريس ، الطبعة الأولى 1988، ص 68.

فالبنية السطحية هي انعكاسٌ للبنية العميقة وإخراج لـــها على شكل متتالية من الوحدات اللغوية التي تربطها قواعد وعلاقات نحوية للغة ما .

4 – النحو : يعرّف تشومسكي النحو بأنه : " جهاز (device) لتوليد الجمل النحوية في اللغة. " [1]

فالنحو هو مجموعة من القواعد التي باستخدامها يستطيع المتكلم إنتاج أو توليد عدد غير متناه من الجمل السليمة في علاقات وحداتها بعضها ببعض ، والنحو كذلك هو " مجموعة من القواعد التي تمكّن الإنسان من توليد مجموعة من الجمل المفهومة ذات البناء الصحيح. " [2]

فالفرد الذي يمتلك قواعد أو نحو لغته، يمكنه التمييز بين التركيب النحوي وغير النحوي .

5– التوليد : التوليد هو " القدرة على الإنتاج غير الـــمحدود من الجمل ، انطلاقـــا من العدد المحصور من القواعد – في كل لغة – وفهمها ، ثم تمييزها عمّا هو غير سليم نحويا . " [3]

وتتمثّل عملية التوليد في إعادة كتابة الجمل النحوية باستعمال الرموز الرياضية " حيث تعاد كتابـــة كـــل رمز مـــن اليمين إلى اليسار بالتدرج حتى يتوصل إلى آخر سلسلة من الرموز التجريديـــة التي لا تقبـــل الاشتقاق " [4] ، وتُعاد الكتابة – بالطبع – من اليسار إلى اليمين في اللغات الأجنبية .

وتحصر قواعد إعادة الكتابة التي استعملها تشومسكي في : [5]

الرمز بالإنجليزية	ما يرمز إليه
S	Sentence

[1]- اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن، ص 208.
[2] - اللغة البشرية بين فطرية جومسكي وبنوية بياجي ، فارس نظمي ، الحوار المتمدن ، العدد 1242، 2005/6/28 www.rezgar.com.
[3] - محاضرات في المدارس اللسانية ، شفيقة العلوي ، ص 52، 53 .
[4] - المرجع نفسه ، ص 53 .
[5] - ينظر: علم اللسانيات الحديثة ، عبد القادر عبد الجليل ،دار صفاء للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، 2002 م ،1422 هـ ، ص 276 .

Verbal phrase	VP
Noun phrase	NP
Verb	V
Noun	N
Determinate	DET
tense	T
Particl	P
Preposition phrase	PERP.P
Noun- singular	R
Noun-dual	D
Noun-plural	L
Masculine-gender	M
Feminie-gender	F
Neuter-gender	E
Indefinite-noun	I.F
Demonstrative-noun	E.V

6 – **التحويل** : هو عملية ترتبط بالبنيتين السطحية والعميقة ، فالبنية السطحية مرتبطة بالقواعد التحويلية في اللغة ،" فبها يتمُّ انتظام الكلمات في جمل يعبّر بها المتكلم عن علاقة ذهنية مجرّدة (معنى) بكلمات محسوسة منطوقة. " [1]

فالتحويل إذن دوره إظهار المعنى الذهني العميق في تركيب جملي بارز (سطحي) ويأتي تشومسكي بهذا المثال ليوضّح هاته العملية: [2]

[1] - في نحو اللغة وتراكيبها ، خليل أحمد عمايرة ، ص 59.
[2] - المرجع نفسه ، ص 59.

العالم المرئي

خلق الله العالم

فيتمّ ربطها ببعضها البعض أو يتمّ تحويلها ، لتظهر في الجملة التحويلية الكبرى .

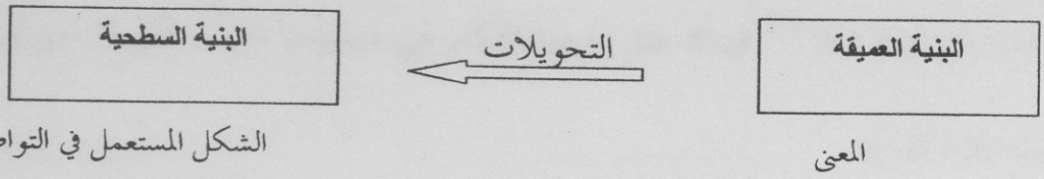

7- **النحوية والمقبولية** : من أهداف النحو التوليدي التحويلي التمييز بين الجمل النحوية وبين الجمل غير النحوية ، فمثلاً " جملة القطة على الحصير . the cat is on the mat تنتسب إلى اللغة الإنجليزية بينما نجد الحصير القطة على mat is cat the the on تقع خارجها ، وعلى حدِّ تعبير تشومسكي فإن أولى هاتين السلسلتين "نحوية grammatical " أو " سليمة التركيب" أما الثانية فهي "غير نحوية ungrammatical" أو" سيّئة التركيب" ."[1]

إذن فكلّ جملة لم تنحرف ولم تخرج عن النظام اللغوي الخاضعة له فهي سليمةٌ ، مقبولةٌ ، مفهومةٌ . أما إذا انحرفت فإنها بذلك تخرج عنه .

و قد يكون تركيب الجملة سليم لكن معناها غير صحيح ، وقد اهتم تشومسكي ببيان هذا في كتابه "البنى التركيبية" عام 1957 ، فأتى بمثاله الشهير : **الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام بغضب** colourless green ideas sleep furiosly ، ويعلّق سامسون على هذا المثال فيقول :

[1] - مدارس اللسانيات التسابق والتطور، جفري سامسون ، ترجمة : محمد زياد كبة ، جامعة الملك سعود ،1417هـ ، ص 139 .

" إن الحكم على سلسلة من المفردات بأنها خاطئة يعني أنها لا تطيع المعايير البنوية للغة وهي التي تبدو أنها قضية نعم أم لا . كما أن الحكم على سلسلة ما بأنها جوفاء (خالية من المعنى) يعني أنها تطيع تلك المعايير. لكنّ المرء لا يجني أية فائدة من ذلك المثال المنفرد ، فهو تعليق على قوة خيال المرء نفسه بدلاً من كونه تعليقاً على اللغة ذاتها." [1] فهناك جمل ينتجها المتكلم هي صحيحة نحوياً ، لكن لا معنى لها إلا إذا نظرنا إليها نظرة مجازية.

إذن هذه هي المفاهيم الأساسية التي اعتمدها تشومسكي في بناء نظريته التوليدية التحويلية ، حيث إنها تربطها أو تحكمها علاقات وقواعد تطبق عليها، هي التي شكلت نظريته اللسانية مروراً بمراحل تطور مختلفة فهي لم تأت دفعة واحدة .

[1]- مدارس اللسانيات التسابق والتطور ، جفري سامسون ، ص 170 .

المبحث الثالث : إجراءات النظرية التوليدية والتحويلية ومكوناتها .

قام تشومسكي باتباع إجراءات أو طرق تحليل ثلاثة ليتوصّل إلى نموذجه الذي رأى أنه قادر على تفسير كل التعقيدات التي عجزت عن تفسيرها النظريات السابقة وهاته الإجراءات هي :

1 – نحو الحالات المحدودة Finit state grammar :إنّ كلّ حالة أولى تحكم إنتاج أو توليد الكلمات الموالية لها ، فبعد اختيار العنصر الأول ، يكون الاختيار الثاني حسب العناصر التي تسبقه ومثّل تشومسكي هذه الطريقة بالشكل: [1]

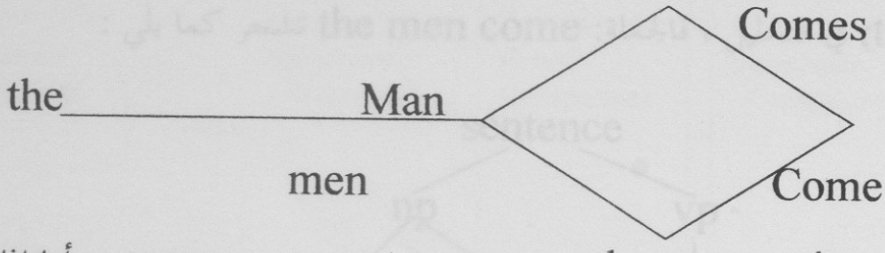

فالملاحظ أن اختيار العنصر الأول (the man) (جمع) يحتم علينا اختيار (comes) ،أما إذا اخترنا (the men) (مفرد) فإنه علينا إتباعه ب : (come) وبالتالي فإن هذا يمكننا من إنتاج جملتين هما :

1) the man comes .

2) the men come .

ويضيف تشومسكي إلى أنه يمكن توسيع هذه القواعد لإنتاج عدد أكبر من الجمل باستعمال القواعد التكرارية كإضافة الصفات أو الأسماء الموصولة ، فتصبح الجملة السابقة عند إضافة صفة لها كما يلي : the old man comes.وجد تشومسكي أن هذه الطريقة لا تقدِّم إلا عدداً محدوداً من الجمل وهي عاجزة عن توليد بعض الأنواع المتداخلة في غيرها من الجمل ،كما أن هذه الطريقة ،تقدِّم

[1] ـ اللسانيات النشأة والتطور ، ص 217.

جملاً غير سليمة نحوياً مثل : - الولد لطيفٌ

- البنت لطيفٌ

لذلك صرف عنه النظر وانتقل إلى الطريقة الثانية (قواعد تركيب أركان الجملة) .

2 – قواعد تركيب أركان الجملة : phrase structure grammar : يعتمد فيها على تحليل الجملة إلى كل العناصر المؤلفة منها باعتبار أن كل جملة ما هي إلا مجموعة من المباني الصرفية ، وقد اعتمد المشجر(tree digram) في التحليل ، فالجملة: the men come تشجر كما يلي :

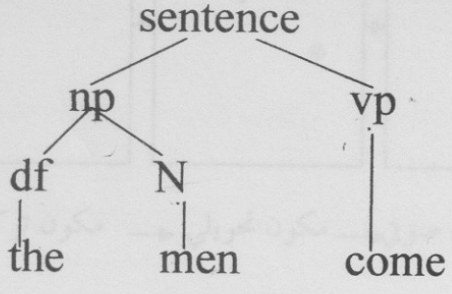

ولقد ظهرت مشكلات دلالية في هذا النمط الثاني باعتبار التحليل على هذا الشكل هو مثل تحليل الوصفيين (التحليل إلى المؤلفات المباشرة) يرتكز على المبنى دون المعنى. كما أدرك تشومسكي أن هذا النموذج ليس بإمكانه توليد كل الجمل اللغوية ، فاتجه إلى الإجراء الثالث " الذي أحدث به ثورة في اللسانيات فأكسبه شهرة عالمية لا تضاهى ، وأصبح عنواناً للنظرية اللسانية التشومسكية. " [1]

3– القواعد التحويلية : رأى تشومسكي أن هذه القواعد لها قدرة أكبر على وصف اللغة وتفسير معطياتها لذلك فضَّلها على الإجراء الثاني " على أساس أن القواعد التحويلية تعكس حدس أصحاب اللغة

[1] - اللسانيات النشأة والتطور ، أحمد مومن ، ص 223 .

أكثـــر من غيرها من القواعد وتولّد عدداً لا حصر له من الجمل ، وتولي اهتماماً كبيراً بالـــمعنى أكثر مما توليه القواعد المركبية وتفكّ أقفال اللّبس التركيبي التي استعصت على القواعد السابقة . "[1]

ومهمّة القواعد التحويلية بيان طريقة الانتقال من البنية العميقة إلى البنية السطحية (الشكل النهائي للجملة) والتي قد تتنوع انطلاقا من بنية عميقة واحدة محدودة ، فالقواعد التحويلية ترصد تلك التحولات وتبيّن كيفيتها، فقد تكون بالحذف أو بالزيادة أو بإعادة الترتيب أو الجمع ....

وبعد هذا انتهى تشومسكي إلى أن عملية إنتاج الجمل تكون قياساً على الشكل التالي :[2]

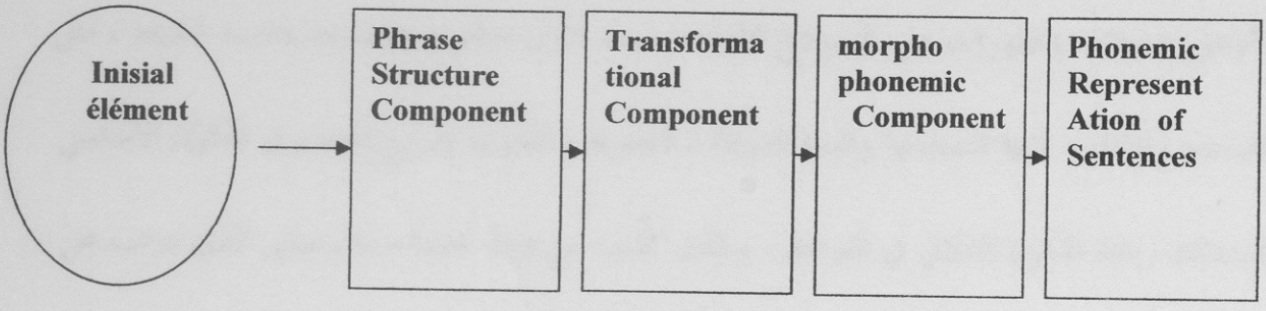

تحليل الجملة الصوتي ← مكون صرفي صوتي ← مكون تحويلي ← مكون تركيبي ← عنصر أولي

فالعنصر الأولي يمثّل البنية العميقة التي هي قواعد مجرّدة ووحدات معجمية قائمة في الذهن تتكون بواسطـــة المكوّن التركيبي. ويقوم المكوّن التحويلي بتحويل أركان الـــجملة وبيان علاقاتـــها لتخرج في بنية سطحية وأخيراً: يأتي دور المكوّن الصرفي الصوتي وهي قواعد تحوّل البنية العميقة إلى صورها الصوتية ليتمّ تـــمثيلها (النطق) .

وتصنَّف القواعد التحويلية المستعملة إلى صنفين : قواعد وجوبية (إجبارية) مثل تحويل الزمن ، تحويل الفعل المساعد (to be في الإنجليزية) واختيارية مثل التحويل للبناء للمجهول .

[1] ـ مبادئ اللسانيات ، احمد محمد قدور ، دار الفكر المعاصر ،بيروت. لبنان ، الطبعة الأولى ، 1999 ، ص 263 .
[2] ـ المرجع نفسه ، ص 263 .

وعلى العموم "فإن هذه القواعد تتميّز بالاختيارات المتميّزة التي تقدِّمها لتوليد شتّى أنواع الجمل وتأخذ في الحسبان الأسماء في حالة الإفراد والمثنى والجمع (...)وتُدخل في الاعتبار كل الأزمنة (tenses) والصيغ (mood) .[1]

وبهذا يكون تشومسكي قد توصَّل إلى أوّل نموذج لنظريته وكان ذلك عام 1957 حيث عُرض في كتابه البنى التركيبية ، الذي شهد تعديلات جاءت على مرحلتين هما :

1) **مرحلة النظرية النموذجية** : عندما أصدر تشومسكي كتابه الثاني مظاهر النظرية عام 1965 ، كان قد أدخل تعديلات وتطورات على النموذج الأول ، حيث تناول مفاهيم جديدة بدقة شديدة ، مثل الكفاءة والأداء ، البنية السطحية والبنية العميقة ، النحوية ، المقبولية إدراج المعجم في المكوّن الأساسي وكذلك زيادة المكون الدلالي في القواعد ، وذلك كلُّه من فرط اهتمامه بالمعنى الذي يترتب عن التراكيب النحوية السليمة فأصبح إنتاج الجمل يتم وفق المخطط الآتي :[2]

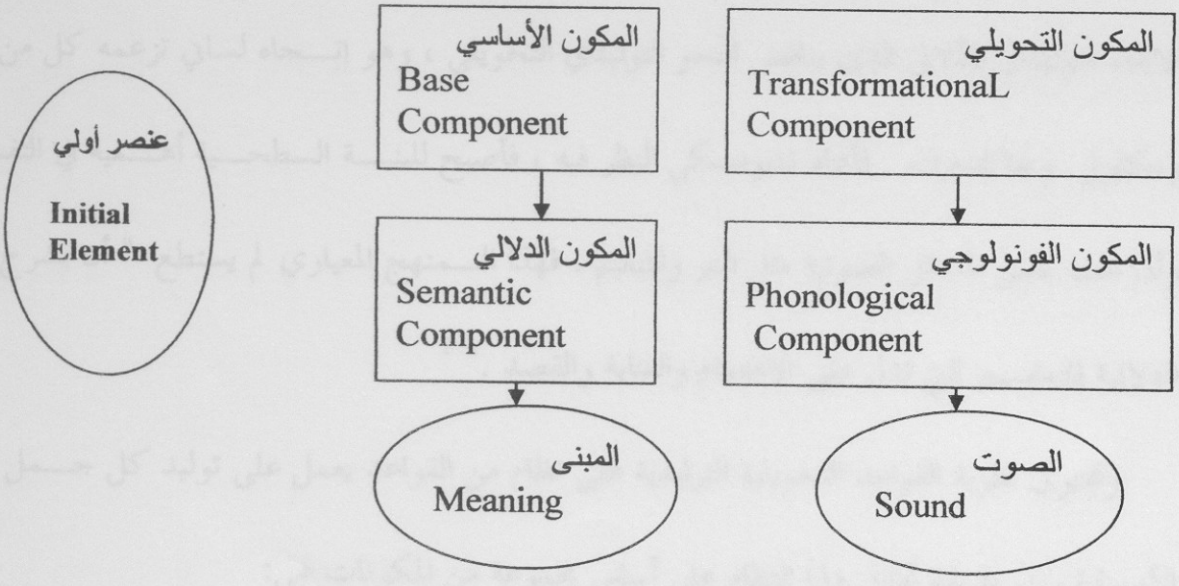

[1] - مبادئ اللسانيات ، احمد محمد قدور ، ص 228.
[2] - المرجع نفسه ، ص 264 .

إذن يبدو أن هذا النموذج أكثر توسُّعاً ودقة من النموذج الأول (1957) الذي كانت الأفكار فيه سطحية ، فحرصُ تشومسكي على السلامة النحوية والقبول الدلالي كان دائما يضطره إلى التجديد والتعديل ، فالفرق الملاحظ في هذا النموذج هو إدراج المكوّن الدلالي في القواعد ليقوم بمهمة أساسية هي تقديم التفسير الدلالي للجمل المنتجة أو التي ستنتج وكذا يعطي تفسيراً للجمل غير النحوية أو التي بها غموض .

ولقد أعطى أهمية للمداخل المعجمية أيضاً ، حيث حدَّد كل وحدة معجمية بسماتها المميزة (صفات نحوية ودلالية) التي تمنع من إنتاج جمل غيرالمقبولة دلالياً ، لأنه بعد تحديد السمات يسهل إدراج الوحدات المتلائمة مع بعضها وإبعاد غير المتلائمة لإنتاج جمل معقولة.

2) **مرحلة النظرية المعيارية الموسّعة:** في المرحلة السابقة كانت البنية العميقة هي المسؤولة عن التفسير الدّلالي ، لكن تبين لتشومسكي أن للبنية السطحية -أيضاً- دوراً فيه ، وقد أدرك هذا بعد ظهور الاتجاه التوليدي الدّلالي الذي يناقض النحو التوليدي التحويلي ، وهو اتجاه لساني تزعمه كل من روس ومكاولي وجاكندوف . فأعاد تشومسكي النظر فيه ، فأصبح للبنية السطحية أهمية في التفسير وأدرجت بعض المسائل الصوتية مثل النبر والتنغيم . فهذا المنهج المعياري لم يستطع " أن يشرح البنية الدلالية للتعابير التي تدل على الاهتمام والعناية والقصد ." [1]

وتحتوي نظرية القواعد التحويلية التوليدية على نظام من القواعد يعمل على توليد كل جمل اللغة الأصولية وتتم طريقة تحليل هذا النظام على أساس مجموعة من المكونات هي:

[1] - علم اللسانيات الحديثة ، عبد القادر عبد الجليل ، ص 62 .

أ) **المستوى المركبي (مكون مركبي):** " يقوم بتوليد مجموعة من الجمل غير المتناهية بواسطة المشيرات الركنية التي يتم بواسطتها تفكيك التركيب ." [1] وهو يعمل على مكونين اثنين :

1) **المكون التوليدي المركبي :** هو يعمل على توليد البنية العميقة التي تضم المعنى كلّه ، فتُحوّل هذه البنية العميقة إلى بنية سطحية من خلال القواعد التحويلية التي لا تغيّر معنى التركيب . كما أنّ هذا المكون يتألّف من ثلاثة أنواع من القواعد هي : [2]

(أ) القواعد التفريعية

(ب) القواعد التصنيفية

(ج) القواعد المعجمية

2) **المكون التحويلي :** " وهو عبارة عن قواعد حافظة للمعنى أي أنها قواعد لا تغير معنى التركيب ." [3] كما أنها تمتلك قوة تجعلها " تضيف أو تحذف أو تبدّل أو تنقل الأركان اللغوية ." [4] ويتألّف هذا المكون من :

(أ) القواعد الوجوبية

(ب) القواعد الأسلوبية الجوازية

وتسير بنية التركيب على الشكل الآتي : [5]

---

[1] - علم اللسانيات الحديثة ، عبد القادر عبد الجليل ، ص 284 .
[2] - نحو نظرية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية ، مازن الوعر ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر . دمشق ، الطبعة الأولى 1987 ، ص 55 .
[3] - المرجع نفسه ، ص 55 .
[4] - المرجع نفسه ، ص 55 .
[5] - علم اللسانيات الحديثة ، عبد القادر عبد الجليل ، ص 285 .

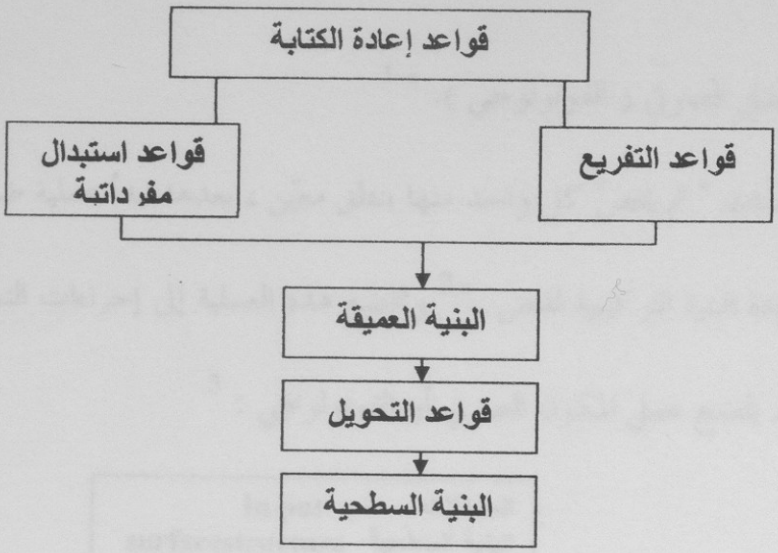

ب) **المستوى الدلالي (مكون دلالي)** : هو مستوى تفسيري يعطي للبنى العميقة التفسيرات الدلالية " من خلال القواعد الدّلالية التي تضمّ معاني الأركان اللغوية المختلفة من أجل إنتاج التمثيل الدلالي المركبي ، "[1]

ويتّضح مخطّطه على الشكل التالي :[2]

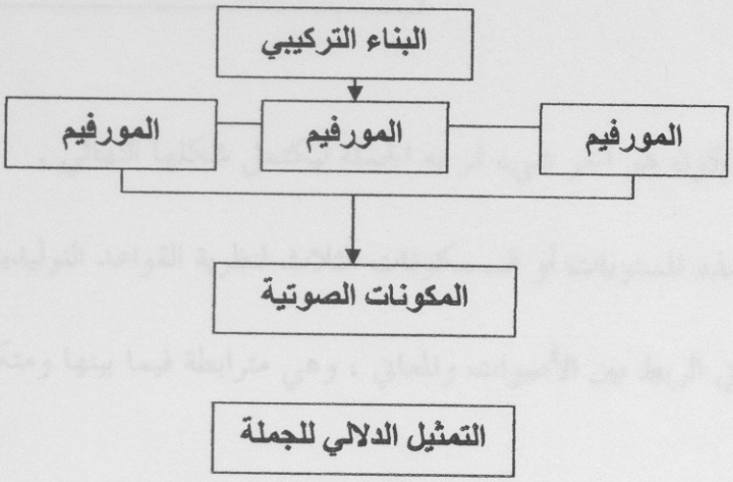

(ج) **الـــمستوى الصوتي** : " هو مستوى تفسيري يعمل على البنية السطحية للتركيب مستعملاً القواعد

[1] - نحو نظرية لسانية عربية حديثة ، مازن الوعر، طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، الطبعة الأولى 1987 ، ص 56 .
[2] - علم اللسانيات الحديثة ، عبد القادر عبد الجليل ، ص 280 .

الصوتية لإنتاج التمثيل الصوتي (الفونولوجي). "[1]

ومهمته فرز المورفيمات " ثم يخصّ كل واحد منها بنطق معيّن ، بعدها تبدأ عملية ضمّ هذه الكلمات إلى بعضها لتكوين قاعدة البنية التركيبية للنص ."[2] وتخضع هذه العملية إلى إجراءات التحليل الصوتية ، ومن خلال هذا المخطّط يتّضح عمل المكون الصوتي أو الفونولوجي :[3]

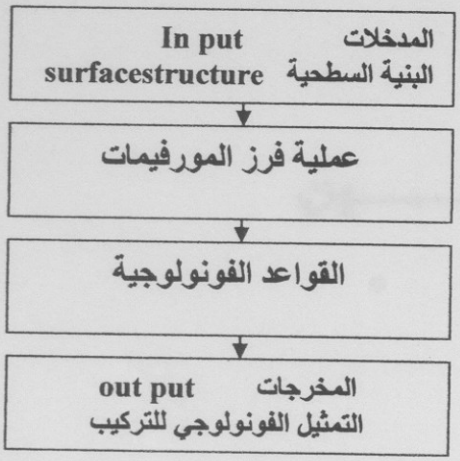

ويعتبر هذا المكون هو آخر شيء تمر به الجملة ليكتمل شكلها النهائي .

وتعدُّ هذه المستويات أو الـــمكونات الثلاث لنظرية القواعد التوليدية التحويلية الوسيلة الأساسية المساعـــدة في الربط بين الأصوات والمعاني ، وهي مترابطة فيما بينها ومتكاملة الوظائف .

---

[1] ـ نحو نظرية عربية حديثة ، مازن الوعر ، ص 56 .
[2] ـ علم اللسانيات الحديثة ، عبد القادر عبد الجليل ، ص 283 .
[3] ـ المرجع نفسه ، ص 284 .

الفصل الثالث

بيـــــن

النظريتـــــين

الفصل الثالث : بين النظريتين .

إنّ المتتبّع للمفاهيم في كل من النظريتين ؛ نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني والنظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي ، يجد أنّ هناك نقاطاً عدّة تتقاطعان فيها رغم المسافة الزمنية الواسعة بينهما وسنحاول إبراز هذا التقاطع منهم خلال :

1 – **اللغة فطرية** : تعتبر اللغة ميزة أساسية يتسم بها الإنسان دون سائر الكائنات ، يحقّق بها التواصل في المجتمع الذي يعيش فيه ، ولقد عدّها كل من الجرجاني وتشومسكي هبة فطرية للإنسان دون الحيوان فقال الجرجاني في مقدمة الأسرار :" اعلم أن الكلام هو الذي يعطي العلوم منازلها، ويبين مراتبها، ويكشف عن صورها (...) وبه أبان الله تعالى الإنسان من سائر الحيوان ."[1]

أما تشومسكي فقد تمسّك برأيه عن فطرية اللغة ، ودعّمه بالمقابلة بين الإنسان والحيوان " فالإنسان غير السّوي- فضلاً عن الذكي القادر- يستطيع إنتاج الجمل والتعبير عمّا في نفسه ، في حين أنّ أذكى الحيوانات وأكثرها تدرّباً وتقبّلاً لما يعلّمها الإنسان ، لا يستطيع ذلك ." [2] وهذا يشكّل – بالنسبة له- دليلاً واضحاً على أن اللغة فطرية في الإنسان وإن لم يكن سوياً عاقلاً . أما الحيوان فإنه يتعلّمها بعد تدريب الإنسان له ، ويؤكد هذا بقولٍ آخر يرى فيه " أن الطفل يبدأ في سن معينة (سنة أو اثنتين) إنتاج الجمل وما أن يصل إلى سن معينة (السابعة مثلاً) حتى يكون قادراً على التعبير عما في نفسه بعدد كبير من التي الجمل لم يكن قد سمعها من قبل ، وقادراً أيضاً – إلى حدّ معين- على إدراك السليم من الجمل التي

[1] ـ أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : هيلموت ريتر ، دار المسيرة . بيروت ،ا لطبعة الثالثة 1403 ، 1983 ، ص 5 .
[2] ـ في نحو اللغة وتراكيبها ، خليل أحمد عمايرة ، ص 55 .

يسمعها من غير السليم " [1] فاللغة موجودة في ذهن الطفل بالفطرة ومع التقدم في السن يستطـــيع إنتاج جملها ، أما إذا التحق بالمدرسة فلأجل تعلم الكتابة والقراءة وليس لتعلم إنتاج الجمل .

2- **اللغة والكلام** :لقد تنبّه الـــجرجاني إلى أن هناك فرقاً بين اللغة والكلام ، هاته الفكرة التي توصّل إليها كانت قد لقيت حظّاً من الدراسة الألسنية الحديثة (سوسير ومن جاء بعده)

فالجرجاني يبسط هذا الفرق بين أيدينا واضحاً حين يميّز بين الألفاظ الوضعية والاستعمال اللغوي فيقول : " الألفاظ الـــمفردة التي هي أوضاع اللغة لـــم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها من فوائد. " [2]

فالألفاظ المفردة التي تواضع الناس عليها لا فضل لأحدها على الأخرى ، لكنّ الفضل والميزة في ضمّ بعضها إلى بعض بطريقة مـــخصوصة ، هي توخي معاني النحو وهذا هو الكلام ؛ فالكلام عند الجرجاني هو إنتاج الـــجمل قياساً على القاعدة النحوية المحفوظة في لغتنا العربية ، أما إذا كان هناك خروج وعدول عنها فإن ذلك يرجـــع لأغراض المتكلم والسياق الذي يسوق فيه كلامه. فتعدّد طرق التّأليف يؤدي إلى تعدّد المعاني لكن يشترط أن يكون التأليف سليماً ، صحيحاً ، لأنّ في صحّته صحّة المعنى .

وهذا ما نجده عند تشومسكي أيضاً حين فرّق بين الكفاءة اللغوية التي ترتبط باللغة التي يخالف فيها سوسير الذي يرى بأن اللغة " كتلة من المادة أو قائمة من المفردات التي ينتقي منها الشخص الكلام. " [3] وذهب إلى أن الكفاءة " تتمثل في المعرفة اللغوية الباطنية للفرد ؛ أي مجموعة القواعد التي تعلّمها ." [4]

أما الأداء فهو مرتبط عنده بمفهوم الكلام ، وهو التجسيد الفعلي للكفاءة ، وقد جعل تشومسكي الكفاءة

---

[1] ـ في نحو اللغة و تراكيبها ، خليل أحمد عميرة ، ص 55 .
[2] ـ الدلائل ، ص 495.
[3] ـ اللسانيات النشأة والتطور ، احمد مومن ، ص 210 .
[4] ـ المرجع نفسه ، ص 210 .

موضوع الدراسة اللسانية ، فعمل الباحث يكمن في اكتشاف تنظيم القواعد الضمنية التي بها تشكـــل البنى اللغوية غير المحدودة ، ثم التمييز بين البنى السليمة وغير السليمة.

3- **اللغة والفكر** : لقد اعتبر الـــجرجاني النظم عملية عقلية ، فالمتكلم يعمل فكره ليقيم المعاني مرتبة في نفسه وبعد ذلك ينطقها فقال : " هذا وأمر النظم في أنه ليس شيئاً غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم وأنك ترتّب المعاني في نفسك أولاً ، ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك . " [1] وإن لم يكن شيء من هذا فإنّ الإنسان لا يستطيع أن يأتي بألفاظ مرتّبة متعلّقة ببعضها. بحيث تحيل إلى دلالة و فائدة ، " فترى الرجـــل منهم يرى ويعلم أن الإنسان لا يستطيع أن يجيء بالألفاظ مرتبة إلا من بعد أن يفكّر في الـــمعاني ويرتّبها في نفسه على ما أعلمناك ." [2]

إذن هذه إشارة واضحة من لدن الجرجاني على علاقة اللغة بالفكر ، فالإنسان يفكّر ثم يتكلّم . ونجد هذا عند تشومسكي أيضاً ، فنظريته تكوّن أهم نظرية عقلانية تعالـــج مسائل اللغة. " فهي تنظر إلى اللغة على أنها نتاج عقلي خاص بالـــجنس الإنساني ومكون من مكونات العقل الإنساني ، فاللغة انعكاس للعقل أو الذكاء الإنساني. " [3] والإنسان ليس مثل الحيوان فله عقل وذكاء يحققان له قدرة إبداعية هائلة لتوليد عدد لا متناه من الـــجمل أو فهمها . فهناك بنى فطرية يختصّ بها الفكر الإنساني " والطفل في الواقع يقوم بعمل ذهني بالغ الأهـــمية والتعقيد حين يكتشف بقدراته تنظيم القواعد الضمني الكامن في كفايته اللغوية والذي يتيح له تكلّم لغته. " [4]

---

1. الدلائل ، ص 416 .
2. المصدر نفسه ، 416 ، 417 .
3. مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة ، ميشال زكريا ، ص 150 .
4. المرجع نفسه ، ص 157 .

فالفرد يفكر في معانيه ويرتبها ويتوخى فيها المعاني النحوية من أجل إنتاج تراكيب سليمة .

إذن فبالعقل وإعمال الفكر يضمن إنتاج جـــمل صحيحة- البنية العميقة والبنية السطحية : كثيراً ما ردّد الجرجاني عبارة (المعاني النفسية) ولا نجدها تحيل إلى شيء إلا البنية العميقة عند تشومسكي ، فقد تبين أن المتكلم يمتلك المعاني في نفسه وإذا أراد إخراجها يعمل الفكر ويتوخى فيها ما يتوخى ثم ينطقها على شاكلة الترتيب الذي في نفسه ملبساً كل معنى لفظه الذي يدل عليه .

ـ4- البنية العميقة والبنية السطحية : كثيراً ما ردّد عبد القاهر عبارة المعاني النفسية ولا نجدها تحيل إلى شيء إلا إلى البنية العميقة عند تشومسكي ، فقد بيّن أنّ المتكلم يمتلك المعاني في نفسه ، وإذا أراد إخراجها فإنه يعمل الفكر ويتوخّى فيها ما يتوخّى ، ثم ينطقها على شاكلة الترتيب الذي في نفسه ملبساً كل معنى لفظه الذي يدلّ عليه .

وبالنسبة لتشومسكي فإنه يرى أن البنية العميقة هي الوضع الأوّلي في ذهن المتكلم وهي معاني مجرّدة لا نلحظها إلا بعد أن تتحوّل إلى بنية ظاهرة بعد إجراء عملية التحويل . فيقول تشومسكي : " بالتحويلات النحوية transformation grammatical نستطيع أن نـــميّز بـــين البنية السطحية للجملـــة – التي نقسمها إلى فصائل وعبارات مرتبطة ارتباطاً مباشراً بالإشارة المادية — والبنية العميقة التي هي أيضاً نظام من الفصائل والعبارات لكن بطابع أكثر تجريدية . " [1] وهاته البنية العميقة هي المســـؤولة عن المعنى الدّلالي السليم وقد وضّح الجرجاني ذلك ببيت الفرزدق : [2]

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكاً أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُـــهْ

[1] ـ اللغة والعقل ، نوام تشومسكي ، ترجمة بيداء العلكاوي مراجعة : سلمان الواسطي ، دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد 1996 ، ص 41 .
[2] ـ الدلائل ، ص 128 .

إنه يرى فساداً في نظم هذا البيت ؛ سببه أن الفرزدق لم يرتّب الألفاظ في الذّكر كما هي في فكره أو نفسه " فانظر أيتصوّر أن يكون ذمك للفظه من حيث أنك أنكرت شيئاً من حروفه أو صادفت وحشيا غريبـاً أو سوقياً ضعيفاً ، أم ليس إلا لأنه لم يرتّب الألفاظ في الذّكر ، على موجب ترتُّب المعاني في الفكر فكدَّر وكدَّر ، ومنع السامع أن يفهم الغرض ." [1]

ولتوضيح أكثر نورد المثال الذي أورده الجرجاني في فروق جملة (زيدٌ منطلقٌ) التي هي بنية عميقة تتحول منها بنى سطحية هي [2]: (زيدٌ ينطلِقُ) و(ينطلقُ زيدٌ) و(مُنطلِقٌ زيدٌ) و(زيدٌ المُنطلقُ) و(المُنطلقُ زيدٌ) و(زيدٌ هو المُنطلِقُ) و(زيدٌ هو مُنطَلَقٌ) .فالمتأمل لهذه البنى كلها يجد أن هناك فروقاً دقيقة في معانيها لا يتوصل إليها إلا الحذق الذي يمتلك ذوقاً سليماً.

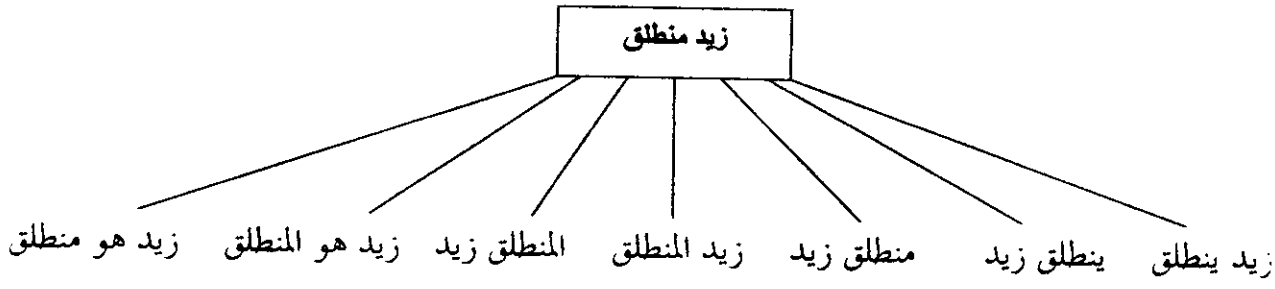

وهذا التمييز كما سبق هو من المفاهيم الأساسية في النظرية التوليدية التحويلية ، فمثلا جملة :

The boy eats an apple ؛ هي بنية عميقة ، وإذا أردنا أن نجري عليها تحويلاً نكوّن الجمل الآتية:

the apple is eaten by the boy , the apple was eaten by the boy , It is the boy who eats an apple , It was the boy who eats an apple , the boy was eating an apple , the boy is eating an apple .

1 - أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، ص 21 .
2 - ينظر الدلائل ، ص 127 .

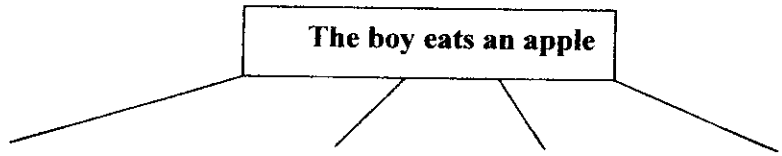

the apple is eaten by the boy the apple was eaten by the boy It is the boy who eats an apple the boy was eating an apple

6- المكون التركيبي/ التعليق : لقد أكد الـــجرجاني في مواضع عدة من كتابه الدلائل أن لا فضل للألفاظ مفردة ومجردة من معاني النحو ، فقد أدرك أن للعلاقات التي تربط بين الألفاظ أهمية كبرى فقال : " واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشكّ ؛ إن لا نظم في الكلم ولا ترتيب ، حتى تعلّـــق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك (...) وإذا كان كذلك ، فبنا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء،وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها ،ما معناه وما محصوله ، وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن تعمد إلى اسم ، فتجعله فاعلاً لفعل ، أو مفعولاً ، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر ، أوتتبع الاسم اسمـــاً ، على أن يكون الثاني صفة للأول ، أو تأكيداً لـــه أو بدلاً منه ، أو تجيء باسم بعد تمام كلامك ، على أن يكون الثاني صفة ، أو حالاً أو تـــمييزاً (...) وعلى هذا القياس." [1] وهاته العلاقات ما هي إلا أوجه التعلّق النحوي بحيث " لا يكون كلام من جـــزء واحد ،وأنه لا بدّ من مسند ومسند إليه ." [2] فقد حصر الـــجرجاني أوجـــه التعلّق النحوي التي تعود إلى إعمـــال القواعد النحوية المعيارية ولا تخرج عنها فلا يتصوّر " أن يتعلّق الفكر بمعاني الكلم أفراداً ومجرّدة من معاني النحو : فلا يقوم في وهم ولا يصحُّ في عقل أن يتفكّر متفكّر في معنى فعل من غير أن يريد إعماله في اسم

[1] ـ الدلائل ، ص 106 .
[2] ـ المصدر نفسه ، ص 60 .

ولا أن يتفكّر في معنى اسم من غير أن يريد إعمال فعل فيه وجعله فاعلاً أو مفعولاً ، أو يريد منه حكماً سوى ذلك من الأحكام مثل أن يريد جعله مبتدأ أو خبراً أو صفة أو حالاً أو ما شاكل ذلك . " [1]

فعندما يعمد المتكلم إلى تكوين جملة لغوية فإنه يقوم بعمليتين ؛ **أولاهما** : اختيار المفردات المخزونة في قاموسه اللغوي ، وثانيهما : تنظيمها في نسق خاص يتلاءم مع نظام لغته الأم ؛ " ومن أجل ذلك انقسمت الكلم قسمين : مؤتلفٌ وهو الاسم مع الاسم والفعل مع الاسم.

وغير مؤتلف وهو ما عدا ذلك ، كالفعل مع الفعل والحرف مع الحرف . " [2]

فقد وضّح لنا الجرجاني أوجه التراكيب النحوية السليمة (المؤتلفة) التي يكون معناها سليم بالضرورة وأوجه التراكيب غير السليمة (غير المؤتلفة) التي لا تحيل إلى معنى مقبولاً .

أمّا تشومسكي فإنه جعل المكون التركيبي مكون أساسي في نظريته التوليدية التحويلية ، فهو يحتوي على قواعد إعادة الكتابة وعلى المداخل المعجمية ، ومن هنا فمهمته توليد الجمل باعتماد تلك القواعد النحوية المعيارية المحدودة .

إذن مفهوم التعليق نفسه مفهوم المكون التركيبي عند تشومسكي ، ولقد اعتبر كل منهما أن النحو هو الوسيلة الوحيدة التي على أساسها ننتج الجمل النحوية بحيث لا تخرج عن القواعد المتواضع عليها في أي لغة من اللغات . " وقد تبلور جهد كل منهما في إعطاء النحو إمكانات تركيبية مستمدّة من قواعده

[1] ـ الدلائل ، ص 387 .
[2] ـ المصدر نفسه ، ص 425 .

العقلية بحيث أصبحت هذه الإمكانات أشبه شيء بصندوق مغلق ، له مدخل ومخرج ، تدخل فيه المفردات وتتفاعل ثم تخرج على الصورة التأليفية الجديدة " [1] وتُوضّح في المخطّط : [2]

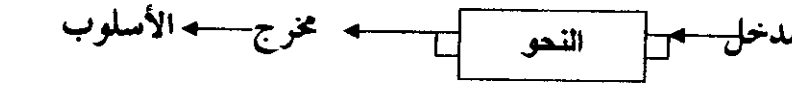

فالمفردات أو الألفاظ تدخل في الصندوق مبعثرة لا علاقة لبعضها ببعض فتمرُّ بالنحو وتتعلّق فيما بينها على طرق مخصوصة ثم تخرج وتشكّل أساليب سليمة ، ولكلّ فرد أسلوبه ، وهذا يعني أنـــها تخرج في أشكـــال تعالقية مختلفة كلها ذات معنى .

6- **الفروق/ التحويل** : لقد تردّدت في كتب الأقدمين مقالة مشهورة هي " لكل مقام مقال " ، وبكـــل بساطة فإنها تعني أن لكل تركيب كلامي مقامه ومحلّه الذي يفيد فيه معنى لا يفيده تركيب غيره ومن هنا فقد عني الجرجاني بأغراض المتكلمين ، وربطها بالتنوعات اللغوية الكلامية ، حيث بيّن أنّ لكلّ شكل من أشكال الجمل معنىً وغرضاً خاصين به ، فالمتكلم يتصرف في قواعد النحو حسب أغراضه، والسياق العام الذي يسوق كلامه فيه، لذلك يقول : " واعلم أن من شأن الوجوه والفروق أن لا يزال يـــحدث بسببها وعلى حسب الأغراض والمعاني التي تقع فيها ، دقائق وخفايا إلى حدٍّ ونهاية ، وأنـــها خفايا تكتُم أنفُسُها جهدها حتى لا يُنتَبَه لأكثرها ، ولا يُعلَم أنها هي،..." [3]

إن الفروق التركيبية هي التي تحدّد المعنى وهي غير محدودة بل هي متعدّدة بتعدّد المعاني والأغراض فيقول:

[1] - النحو بين عبد القاهر وتشومسكي ، محمد عبد المطلب ، فصول (مجلة النقد الأدبي) عدد خاص بالأسلوبية ، المجلد الخامس ، العدد الأول: أكتوبر، نوفمبر ديسمبر 1984 ، ص 29 .
[2] - المرجع نفسه ، ص 29 .
[3] - الدلائل ، ص 288 .

" وإذ قد عرفْتَ أن مدار أمر النظم ، على معاني النحو ، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكُونَ فيه ، فاعلم أنّ الفروق والوجوه كثيرة ، ليس لها غاية تقف عندها ، ونهاية لا تجد ازدياداً بعدها ،..." [1]

ولقد ركّز الجرجاني على إبراز التراكيب اللغوية المختلفة وبيان معناها من خلال عرض قضايا نحوية متعددة مثل : التقديم والتأخير ، والحذف والزيادة ، التنكير ، والحال ،و الفصل والوصل وغيرها ، موضّحاً ذلك بأبيات شعرية وآيات قرآنية ، فهـــو يقول عن الفروق في الأحوال- مثلاً- إنه يـــمكننا التعبـــير بأشكال " تراها في قولك : «جاءَني زيدٌ مسرعاً» و«جاءَني يُسرعُ» و«جاءني وهو مُسْرِعٌ أو هو يُسرعُ» و« جاءني قـــد أسْرَعَ »و« جاءني وقد أسْرَعَ »؛..." [2]

وهذا ما أوضحه تشومسكي فيما يعرف عنده بالتحويل ، حيث إنّ عمليات التحويل تنشئ جملاً جديدة انطلاقاً من بنية عميقة واحدة ، وتشكل تلك الجمل المُحوّلة بنى سطحية . ومن أهم عناصر أو عمليـــات التحويل عند تشومسكي : الترتيب ، الزيادة ، الحذف ، التوسع ...الخ . وهي عناصر تناولها عبد القاهر الجرجاني أثناء بسطه القضايا النحوية في كتابه " الدلائل" .

أ- **الحذف** : عدَّ الجرجاني الحذف أبلغ من الذكر ومثاله أن يسأل سائل : من القادم ؟ فيردُّ المجيب : زيدٌ . ويريد القادمُ زيدٌ والشكل التالي يوضح العملية :

[1] - الدلائل، ص 132 .
[2] - المصدر نفسه ، ص 127 .

أما تشومسكي فقد وضّح عملية الحذف بالمثال الآتي :

Richard is as subborn as our father is.

يقول التحويليون إن (our father is) مأخوذة من بنية عميقة هي:(our father is subborn.)

وذلك بقاعدة تحويلية تحذف الصّفة المكرّرة التي هي (subborn) لأنها تفهم من السياق . [1]

فالمتلقّي أو القارئ عندما يواجه هاته الجملة يستطيع الاهتداء إلى العنصر المحذوف من خلال ما ورد في سياق الجملة الأولى . فالحذف عنصر من عناصر السياق يلجأ إليه المتكلم لغرض في نفسه أو لحاجة فنية، ليعبّر عن المعنى الذي في نفسه بدقّة أكثر من أن لو ذُكِر العنصر المحذوف .

ب- الزيادة :عدَّ الجرجاني أن كل زيادة في الكلام تكون لغرض معين؛ قال الكندي " إني لأجد في كلام العرب حشواً ،(...) أجد العرب يقولون (عبد الله قائمٌ) ، ثم يقولون: (إن عبدَ الله قائمٌ) ، ثم يقولون: (إن عبد الله لقائمٌ): فالألفاظ متكررة والمعنى واحد ،" [2] وردّ أبو العباس : " بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ؛ فقولهم :(عبد الله قائم): إخبار عن قيامه؛ وقولهم:(إن عبد الله قائم) : جواب عن سؤال سائل وقولهم:(إن عبد الله لقائم): جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكرّرت الألفاظ لتكرّر المعاني. [3]

فنلاحظ من خلال هذه الأمثلة كيف تنوّعت الأغراض من إخبار إلى جواب عن سؤال ثم إلى جواب عن إنكار إثر إضافة (إن) أو (إن و ل) في الجملة النواة (عبد الله قائم) فالمقصود بالزيادة ، ما يضاف إلى الجملة النواة من كلمات تستتبع زيادتها زيادة في المعنى .

---

[1] - ينظر: النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج) ، عبده الراجحي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .1986 ،ص 149 .
[2] - الدلائل ، 312 .
[3] - الدلائل ، 312 .

وهذا يشبه ما جاء به تشومسكي في حديثه عن الزيادة التي عدَّها أدوات أو كلمات تدخل على البنية العميقة أثناء تحويلها إلى بنى سطحية وذلك لتحقيق أغراض معينة مثل :"it" ،" ther"، ففي قولنا: there are many people out of work . فعن كلمة " ther" في هذه البنية السطحية لا تقدّم دلالة في العمق وإنما هي فاعل سطحي للفعل الموجود في الجملة (فعل to be) أي أنها نوع من الزيادة . [1]

ج- التقديم والتأخير : جعل الجرجاني التقديم على ضربين :

تقديم على نية التأخير ؛ كتقديم المبتدأ على الخبر والمفعول على الفاعل ، كقولك : " (منطلقٌ زيدٌ ، ضرب عمراً زيدٌ) . معلوم أن منطلقٌ و عمراً لم يخرجا بالتقديم والتأخير عما كانا عليه ،" [2]

وتقديم لا على نية التأخير،ولكنه تقديم وتأخير يغيّر في الحركات والأحكام الإعرابية لطرفي الإسناد " وذلك أن تجيء إلى اسمين يَحتملُ كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ، ويكون الآخر خبراً له ؛ فتقدِّم تارة هذا على ذاك، وأخرى ذاك على هذا . ومثاله ما تصنعه (بزيد والمنطلق) حيث تقول مرّة:(زيدٌ المنطلقُ)، وأخرى (المنطلقُ زيدٌ) . فأنت في هذا لم تقدّم المنطلق على أن يكون متروكاً على حكمه (...) ، بل على أن تنقله من كونه خبراً إلى كونه مبتدأ ." [3]

فهذين الضربين من التقديم يكونا لغرض في نفس المتكلم كالعناية والاهتمام ، أو التعجيل بالمسرّة مثلاً.

وميّز تشومسكي بدوره بين تقديم أسلوبي ، وتقديم يؤدي إلى تحولات قواعدية . [4]

و يمكن أن نمثّل للنوع الأول ب: . John invited David

---

[1] - ينظر : النحو العربي والدرس الحديث ، عبده الراجحي ، ص 152 .
[2] - الدلائل ، ص 148 .
[3] - المصدر نفسه ، ص 148 .
[4] - ينظر : النحو العربي والدرس الحديث ، عبده الراجحي ، ص 152 .

ف: John هو الفاعل أما David فإنه المفعول به . أما إذا أحدثنا تقديماً وتأخيراً تصبح : David invited John . فينتقل **David** من حكم المفعولية إلى كونه فاعلاً .

وبعد عرضنا لأوجه التشابه بين النظريتين ، كان لزاماً علينا ، ووفقاً لطبيعة المنهج المقارن أن نتناول أوجه الاختلاف أيضاً ، وهي قليلة مقارنة بأوجه الشبه ومنها :

وبعد عرضنا لأوجه التشابه بين النظريتين ، كان لزاماً علينا ، ووفقاً لطبيعة المنهج المقارن أن نتناول أوجه الاختلاف أيضاً ، وهي قليلة مقارنة بأوجه الشبه ومنها :

أ- لم يهتم عبد القاهر بالجانب الصوتي ، بل ركّز في بحثه على العلاقات النحوية التي تحكم الجمل ، فقد غضَّ " من شأن الجانب الصوتي في اللغة ، وبيان العلاقة الإيجابية بين أصوات اللغة ومعانيها وبينها وبين العاطفة والانفعال و أثر كل ذلك في العمل الأدبي ." [1]

و لم يغفل تشومسكي هذا الجانب فقد تحدّث عن النبر والتنغيم ، " ولا شكّ أن تشومسكي قد مدَّ مجال بحوثه إلى مستويات صوتية ودلالية ، وهي مستويات اقترب منها عبد القاهر ولكنه لم يعطها ما تستحق،" [2]

ب- لقد انطلق كل منهما من النحو التقعيدي ، لكن لم يكونا متّحدي الهدف ؛ فعبد القاهر الجرجاني سعى من خلال بحثه إلى الكشف عن النظام اللغوي الذي يحكم الظاهرة اللغوية ليستطيع كل متكلم أن يعبّر عن المعاني التي في نفسه بالتراكيب المناسبة لها ليحقّق الفصاحة وتمام البيان .

أما تشومسكي فإنه يطمح للوصول إلى كليات لغوية وصياغة نحو عالمي يطبق على كل لغات البشر .

[1] ـ بلاغة العطف في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية) ، عفت الشرقاوي ، دار النهضة لعربية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت 1981 ، ص 29 .
[2] ـ النحو بين عبد القاهر وتشومسكي ، محمد عبد المطلب ، مجلة فصول ، ص 29 .

ج – ينبّه الجرجاني إلى أن الجمل التي قام بتحليلها موجودة كلها في كلام العرب فقال : " ثم إنّا نرى هذه كلها موجودة في كلام العرب ، ونرى العلم بها مشتركاً بينهم ." [1]

في حين إن تشومسكي يعتمد الجمل المحقّقة والتي يفترض أن تحقّق وهي جمل يتوصل إليها متكلم اللغة بحدسه ويحكم عليها بالصحّة أو الخطأ .

و لم تسلم كلتا النظريتين من النقد ، فمن النقود التي وُجّهت لنظرية النظم هي :

- إنّ شواهد عبد القاهر قصيرة " لا تعدو الأبيات المحدودة ،والجمل والنصوص المبتورة من سياقها إذ لا يسمح منهجه بتحليل الآثار الفنية الكاملة ." [2]
- إنّ عبد القاهر أغفل عناصر الصورة والتعبير ، وترابطها في السياق .
- النظم وحده لا يحقّق البلاغة ، وإذا ما اعتبرنا هذا " فإن في ذلك تسوية بين درجات مختلفة من مستويات المعاني في الأعمال الأدبية المتفاوتة من حيث الحكمة والفساد ، وإهمالاً لجوانب إيقاعية أخرى قد يكون لها أثرها في بلاغة النص ." [3]

وعن النقود التي وجهت لتشومسكي نجد :

- إنّ منهج تشومسكي عقلاني ، وهذا الاتجاه يرى بأننا نولد مزوّدين بمعرفة فطرية قبلية ، ولهذا يرى تشومسكي أن الإنسان لا يتعلّم اللغة وإنما هي موجودة في ذهنه بالفطرة ، يتعرّف عليها عن طريق الاستبطان أو الحدس . وهذا ما عيب عليه ، فمفهوم الاستبطان يخرج بالنظرية

[1] ـ الدلائل ، ص 60 .
[2] ـ بلاغة العطف في القرآن الكريم ، عفت الشرقاوي ، ص 30 .
[3] ـ المرجع نفسه ، ص 23 .

عن العلمية " وفي الوقت الذي حاول فيه تشومسكي أن يبيّن كيف يكون التحليل التركيبي تحليلاً علمياً...فإنه بدفاعه عن منهج الاستبطان يكون قد حكم في آن واحد على أن التحليل التركيبي لم يعد علمياً في الواقع العلمي ." [1]

- يقول **سامسون** " إنّ المدرسة التشومسكية ركّزت على اللغة الإنجليزية واللغات الأوروبية القريبة منها من أجل بذل قليل من الوقت وذلك على خلاف المدرسة الوصفية التي بذلت وقتاً طويلاً لدراسة اللغات البدائية الغريبة ، ومن البديهي أنّ هذا المنهج من شأنه أن يقلّص من حظوظ إقامة نظرية عالمية مبنية على الكليات اللغوية (linguistic universals) ." [2]
- يقول **سامسون** : " ومن الواضح أن ظهور المدرسة التشومسكية كان تطوُّراً مشؤوماً في علم اللسانيات ، فقد شغلت اهتمام الكثيرين وأنتجت قدراً هائلاً من العقائد . ومن الطبيعي أن يشعر الناس أن هذا العمل لا يمكن أن يذهب هباءً بالتأكيد ." [3] فهذه النظرية قد شغلت الناس وجعلتهم لا يفكرون في إيجاد البديل .
- ويؤكّد **جون ليونز** ما ذهب إليه سامسون فيقول : " إ نه لا بدّ أن نتصورعلى الأقل بأن نظرية تشومسكي للقواعد التوليدية سوف تهجر في يوم من الأيام من قبل اللسانيين بوصفها غير ملائمة لوصف اللغات وإنني أعتقد شخصياً ، ويشاركني في هذا الاعتقاد كثير من اللسانيين ، بأن هذه

[1] ـ مدارس اللسانيات التسابق والتطور ، جفري سامسون ، ص 161 .
[2] ـ مدارس اللسانيات التسابق والتطور، جيفري سامسون ، ص 147 .
[3] ـ المرجع نفسه ، ص 171 .

المحاولة(...) حتى وإن قُـدِّر لها أن تفشل يوماً ما ، فإن المحاولة في ذاتها تكون قد زادت في فهمنا لهذه المتصوّرات. وعليه فإن الثورة التشومسكية لا يمكن أن تكون إلا ثورة ناجحة ." [1]

لكن رغم هذا تبقى للنظريتين أهمية بالغة في الدراسات اللغوية ، فنظرية النظم كما وصفها تـمام حسان " أذكى مـحاولة لتفسير العلاقات السياقية في تاريخ التراث العربي إلى الآن " [2] كما أنـها تعتبر من " أكبر الجهود التي بذلتها الثقافة العربية قيمة في سبيل إيضاح المعنى الوظيفي في السياق أو التركيب. "[3] وقد شغلت النظرية علماء العربية من بعد عبد القاهر إلى الآن .

والشيء نفسه يقال عن تشومسكي فهو " يبقى – دون منازع – الرجل الأول في قائمة الرجال الذيـن خدموا اللغة والفكر وصنعوا تاريخ اللسانيات ." [4]

ويمكن أن نخلص إلى نتيجة عامة تبين شدة الارتباط بين النظريتين لخّصها صاحب كتاب المسافة في : [5]

النظم = ← قواعد النحو + قوانين اللغة < القواعد التوليدية التحويلية = ← المعنى

وفي الأخير يـمكن القول إن الاهتمام بالقاعدة النحوية في نظرية النظم و النظرية التوليدية التحويلية ليس له غرض غير المعنى ، فكلّ منهما كان يسعى إلى الكشف عن المعاني السليمة التي تنتج عن التراكيب السليمة .

---

[1] ـ اللسانيات النشأة والتطور ، أحمد مومن ،ص 238 . نقلا عن : chomsky,Lyons, J . (1970) , London: ponguin, p116

[2] ـ اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، ص 186 .

[3] ـ اللغة العربية مبناها ومعناها ، تمام حسان ، ص 18 .

[4] ـ اللسانيات النشأة والتطور ، احمد مومن ، ص 238 .

[5] ـ المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي ، (بحوث في التفكير النحوي والتحليل اللغوي) ، خليل احمد عمايرة ، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى 2004 ، ص 305 .

الخاتمة

إن الإلمام بجميع جوانب هذا الموضوع شيء لا يمكن تـــحقيقه بسهولة ، ولكن بعد أن بسطنا القول في كلتا النظريتين ؛ نظرية النظم والنظرية التوليدية التحويلية ، ووقفنا على أهم نقاط التشابـــه والاختلاف بينهما توصّلنا إلى بعض النقاط التي نعرضها كنتائج أهمها :

– إن لكلتا النظريتين جذوراً أولية ؛ فقد تناول النظم علماء قبل الجرجاني أمثال : سيبويـــه ، الـــجاحظ العسكري ، القاضي عبد الجبار وغيرهم . كما أن البذور الأولى للنظرية التوليدية التحويلية كانت عند كل من بلومفيلد وهاريس خاصة . لكن كان عمل كل من الجرجاني وتشومسكي أكثر اتّساعاً ، فقـــد أعطى كل منهما للفكرة التي انطلق منها أبعاداً أخرى .

– إن من أهم المفاهيم الأساسية التي ركّز عليها الجرجاني في نظريته هي : الكلمة المفردة ، اللـــفظ والمعنى النحو والمعنى . ليتوصّل إلى أن النظم يكون بها كلها حيث تربط هذه المفاهيم علاقات وطرق مخصوصـــة أهمها العلاقات النحوية .

– لقد بسط تشومسكي عدداً من المفاهيم شكلت نظريته أهمها : الملكة اللغوية ، الكفاءة والأداء الكلامي النحو ، المقبولية والنحوية .

– اعتمد تشومسكي على ثلاثة إجراءات للتحليل هي : نـــحو الحالات المحدودة ، قواعد تركيب أركان الجملة ، القواعد التحويلية .ليتوصّل بهذا الإجراء الأخير إلى تكوين نظرية عامة كاملة .

– تتكون النظرية التوليدية التحويلية من مكونات هي : الـــمكون التركيبي الذي مهمته توليد الـــجمل

والمكون التحويلي الذي يمتلك القدرة على تغيير التراكيب ، والـــمكون الدلالي الذي يعطي التفسيرات الدلالية للبنية العميقة ، ثم المكون الصوتي الذي ينتج التمثيل الفونولوجي.

– لقد أغفل الجرجاني الجانب الصوتي في التحليل ، في حين إن تشومسكي لم يغفله .

– يمكن اعتبار نظرية النظم نظرية لسانية عربية ،ولا يمكن أن نقول إنها نفسها نظرية تشومسكي ، لكنها قريبة جدّاً منها .

– تناول الجرجاني مفاهيم نقدية حديثة مثل : السياق والأسلوب ومفاهيم لسانية مثل : البنية السطحية البنية العميقة ، التحويلات...

– نظرية النظم تمثّل الجذور الأولى لعلم الأسلوب العربي .

– إن الشيء الجميل الذي أضافه الجرجاني هو عمله التطبيقي وطريقته في تحليل الأمثلة وعرضها في قوالب شتّى ليدرك المعنى من جميع الجوانب .

– لقد استعمل تشومسكي بعض الرموز والمفاهيم الرياضية في نظريته سعياً إلى الدقّة والعلمية والاختصار .

– إن التحليل الذي طبّقه تشومسكي على البنى والتراكيب ، ناجح ومفيد إلى حدٍّ بعيد . لكن لا زالت النظرية في استمرار وتطوّر وتعديل ، بغية الوصول إلى نـــحو عالمي . فهل سيتمكّن تشومسكي وأنصاره من ذلك ؟

قائمة المصادر والمراجع

1- **الباقلاني** أبي بكر محمد ، **إعجاز القرآن** ، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل .بيروت الطبعة الأولى ، 1411 هـ ،1991 م .

2- **احمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات** ، دار الفكر المعاصر ، بيروت. لبنان ، الطبعة الأولى ،1999 .

3- **بناني محمد الصغير ، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة** ، دار الحكمة الجزائر ، 2002 .

4- **تشومسكي نوام ، اللغة والعقل** ، ترجمة بيداء العلكاوي ، مراجعة سلمان الو اسطي ، دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد ، 1996م .

5- **الجاحظ** أبو عثمان عمرو بن بحر، **الحيوان** ، تحقيق : يحيى شامي ، المجلد (1-3) ، منشورات دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر ، بيروت .لبنان ، 2003 .

6- **الجرجاني** عبد القاهر ، **أسرار البلاغة** ، تحقيق : هيلموت ريتر ، دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الثالثة 1403 هـ ، 1983 م .

- **دلائل الإعجاز في علم المعاني** ، تحقيق : ياسين الأيوبي ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع صيدا . بيروت ،1424 هـ ، 2003 م .

7- **حسان تمام ، اللغة العربية معناها ومبناها** ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 1418 هـ 1998.

8- **حسين عبد القادر ، أثر النحاة في البحث البلاغي** ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1980 .

9- **خليل احمد عمايرة ، في نحو اللغة وتراكيبها** ، منهج وتطبيق ، عالم المعرفة ، جدة .

- **المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي** (بحوث في التفكير النحوي والتحليل اللغوي)، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، 2004 .

10- **الراجحي عبده ، النحو العربي والدرس الحديث** (بحث في المنهج) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1986 .

11- زكريا ميشال ، **الألسنية (علم اللغة الحديث)** المبادئ والأعلام ، المؤسسة الجامعـــية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ، الطبعة الثانية ، 1983 .

- **مباحث في الألسنية وتعليم اللغة** ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع .بيروت ، الطبعة الأولى ، 1984 .

12- **الرماني ، الخطابي ، عبد القاهر الجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن** ، دار المعارف ، مصر الطبعة الثانية ، 1387 هـ ، 1968 م .

13- **عبد الجليل عبد القادر ، علم اللسانيات الحديثة** ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، الطبعـــة الأولى 1422 هـ ، 2002 م .

14- **عبد المطلب محمد ، البلاغة والأسلوبية** ، مكتبة لبنان ناشرون . الشركة المصرية العالـــمية للنشر بيروت. لبنان ،1968 .

15- **العسكري** أبي هلال الحسين ، **الصناعتين** (الكتابة والشعر) حققه وضبط نصه مفيد قميحة ، دار العلمية ، بيروت .لبنان ، الطبعة الأولى ، 1409 هـ ، 1989 م .

16- **العلوي شفيقة ، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة** ، أبـــحاث للترجـــمة والنشر والتوزيع بيروت . لبنان ، الطبعة الأولى ، 2004 .

17- **العمري محمد ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها** ، افريقيا الشرق ، 1993 م.

18- **ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن** ، تحقيق : احمد صقر ، دار إحياء الكتاب العربية ،بيروت.

19- **الفاسي الفهري عبد القادر ، اللسانيات واللغة العربية** ، منشورات عويدات ، بيروت ، الطبعـــة الأولى ، 1988

20 - **أبو كريشة طه مصطفى ، أصول النقد الأدبي** ،مكتبة لبنان ناشرون الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، الطبعة الأولى ، 1996 .

- **النقد العربي التطبيقي بين القديم والحديث**،مكتبة لبنان ناشرون الشركة المصرية العالـــمية للنشـــر لونجمان الطبعة الأولى ،1997

21- **سامسون جفري ، المدارس(اللسانية التسابق والتطور)** ، ترجمة : محمد زياد كبة ،جامعـــة

الـــملك سعود ، 1417 هـ .

22- **سيبويه** أبي عمرو بن عثمان ، **الكتاب** ، تحقيق عبد السلام هارون ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة الجزء الأول ، 1403 هـ ، 1983 م.

23- **السيد احمد خليل ، المدخل إلى دراسة البلاغة العربية** ، دار النهضة العربية للطباعة والنشـــر بيروت . لبنان ، 1968 .

24- **الشرقاوي عفت ، بلاغة العطف في القرآن الكريم** ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، 1981 .

25- **لاشين عبد الفتاح ، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني** ، دار المريخ المملكة العربية السعودية .

26- **مومن احمد ، اللسانيات النشأة والتطور** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2002 .

27- **هلبش جرهارد ، تاريخ علم اللغة الحديث** ، ترجمة وتعليق : سعيد حسن بحيري ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، الطبعة الأولى 2000 .

28- **الوعر مازن ، نحو نظرية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية** ، طـــلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، الطبعة الأولى ،1987 .

29- **وليد محمد مراد ، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني** دار الفكر ، الطبعة الأولى ، 1403 هـ ، 1983 م.

المجلات:

30 – فصول .مجلة النقد الأدبي ، النحو بين عبد القاهر وتشومسكي ، محمد عبد المطلب ، عدد خاص بالأسلوبية ، المجلد الخامس ، العدد الأول : أكتوبر – نوفمبر – ديسمبر ، 1984 ، ص 29 .

مواقع الانترنت :

31– دراسة في كتاب الوهم للشاعر عبد المنعم المحجوب،مقالات نقدية. www.akbar libya.com

32– اللغة البشرية بين فطرية جومسكي وبنوية بياجي ، فارس نظمي ، الحوار المتمدن ، العدد : 1242 . 2005 / 6 /28 www.resgar .com

33– هكذا تحدث تشومسكي ، ترجمة وتعليق أسامة القفاش ، 28 / 7 / 2002 .

www.Islam on line .net .

فهرس الموضوعات :

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ – ب
الفصل الأول : نظرية النظم : أولياتها و أهم القضايا النحوية فيها .	03
عبد القاهر الجرجاني	04
المبحث الأول : أوليات نظرية النظم	09 – 05
المبحث الثاني : النظم عند الجرجاني	17 – 10
1 – لا معنى للكلمة المفردة	12 – 10
2 – علاقة اللفظ بالمعنى	14 – 12
3 – النحو	17 – 14
المبحث الثالث : أهم القضايا النحوية في النظرية	24 – 18
– التقديم و التأخير	21 – 19
– الحذف	23 – 21
– الفصل و الوصل	24 – 23
الفصل الثاني : نظرية النحو التوليدي والتحويلي :	
أولياتها ، مبادئها ، إجراءاتها ، مكوّناتها .	25

أفرام نوام تشومسكي	26
المبحث الأول : أوليات نظرية النحو التوليدي و التحويلي	34 – 27
المبحث الثاني : مباديء الفنظرية التوليدية التحويلية	42 – 35
1 – حقيقة اللغة	37 – 36
2 – الكفاءة اللغوية و الأداء الكلامي	38 – 37
3 – البنية السطحية و البنية العميقة	39 – 38
4 – النحو	39
5 – التوليد	40 – 39
6 – التحويل	41 – 40
7 – النحوية و المقبولية	42 – 41
المبحث الثالث : إجراءات النظرية التوليدية و التحويلية و مكوّناتها	50 – 43
1 – نحو الحالات المحدودة	44 – 43
2 – قواعد تركيب أركان الجملة	44
3 – القواعد التحويلية	46 – 44
الفصل الثالث : بين النظريتين	51
1 – اللغة فطرية	53 – 52
2 – اللغة و الكلام	54 – 53

3 – اللغة و الفكر	55 – 54
4 – البنية العميقة	57 – 55
5 – المكوّن التركيبي / التعليق	59 – 57
6 – الفروق / تحويل	63 – 59
أوجه الاختلاف	64 – 63
خاتمة	68 – 67
المصادر و المراجع	72 – 69